وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون تيارت/الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم تاريخ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في الفترة الوسيطة

الموسومة بـ:

مدينة طليطلة في سياقات الوصف الجغرافي والتاريخي من التأسيس إلى السقوط 92هـ-711م/487 هـ-1085م

من تقديم الطالبة:
خنيش سعاد

الأستاذ المشرف:
أ. د. بوخاري عمر

لجنة المناقشة		
أ نجاة حجاج	أستاذ مساعد "أ"	رئيسا
أ.د بخاري عمر	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
أ. د عليلي محمد	أستاذ التعليم العالي	مناقشا

السنة الجامعية:1443-1444هـ/2022- 2023

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"مَن لَمْ يَشْكُرِالنَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ"

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه ونشهد أن سيدنا محمد ونبينا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وأتباعه.

بعد شكر الله على إحسانه وتوفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع نتقدم بجزيل الشكر

كما نتقدم بجزيل الشكر ونهدي ثمرة جهدنا إلى الأستاذ المشرف بوخاري عمر كما أهدي عملي هذا إلى الأستاذ "فرحات عبد القادر" الذي وكلما دب اليأس في نفسي زرع في الأمل لأسير قدما.

الإهداء

الحمد لله عز وجل على عونه ومنه لإتمام هذا البحث

والصلاة والسلام على رسوله الكريم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما لنيل المبتغى

إلى من الذي سهر على تعليمي بتضحيات الجسام، إلى مدرستي الأولى في الحياة، أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره.

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل لعطاء والحنان، إلى التي صبرت على كل شيء إلى التي رعتني حق رعاية وكانت سندي في الشدائد وكانت دعواها لي بالتوفيق ترافقي خطوة خطوة في علمي، إلى من إرتحت كلما تذكرت إبتسامتها في وجه نبع الحنان أمي أعز ملاك على القلق والعين جزاها الله خير الجزاء في الدارين.

إليهما اهدي هذا العمل المتواضع لأدخل إلى قلبهما شيئا من السعادة

إلى إخوتي وأخواتي التي تقاسموا مع عبد الحياة، إلى الحبيب الغالي أبي الثاني الحاج أحمد

كما أهدي ثمرة نجاحي إلى إخوتي وإلى كل من الأستاذ مالكي جمال والأستاذ فرحات عبد القادر.

وإلى كل من يؤمن بأن بدون نجاح التعبير هي في ذواتنا وأنفسنا قبل أن تكون في أشياء أخرى .....

قائمة المختصرات:

تر	ترجمة
ع	عدد
د ط	دون طبعة
ص	صفحة
ص ص	صفحات متتالية
إع	إعداد
تق	تقديم
ق	قرن
تح	تحقيق
مر	مراجعة

مقدمة

منذ العهود القديمة توالى ذكر العديد من المدن التي نقشت اسمها في صفحات التاريخ وكانت محل اهتمام المؤرخين والباحثين، فمنها من برزت ومنها من ذكر اسمها وحدد موقعها فقط.

تعتبر فترة العصور الوسطى من بين أزهى العصور بالنسبة للمسلمين، فقد اتسع نطاق الدولة الإسلامية من خلال الفتوحات، حيث حظيت بلاد الأندلس بمنزلة رفيعة لدى المسلمين وهذا لما شهدته من تطور وازدهار، كما ظهرت بها مدن شتى شغلت مكانة سياسية وحضارية واقتصادية، مما جعلها محط أنظار الكثير من خاصة أولئك الذين اهتموا بدراسة تاريخ المدن.

تعد مدينة طليطلة من أقدم مدن شبه الجزيرة الأيبرية وقاعدة الإمبراطورية الرومانية، والتي تحولت فيما بعد إلى واحدة من بين أهم الحواضر الإسلامية بالرغم من قصر فترة تواجدها في العالم الإسلامي (92-487هـ/711-1085م).

تركت طليطلة بصمتها في الكثير من الأحداث السياسية بالأندلس، حيث كانت عنصرا أساسيا في العديد من الوقائع والأحداث.

ولدراسة المدن أهمية كبيرة لأنها تظهر لنا خصائص هذه المدن كما تشمل جميع جوانبها لذا نجد الكثير من المواضيع التي دونت في هذه الدراسات من بينها نذكر: كتاب قرطبة في العصر الإسلامي لأحمد فكري، كتاب قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس للسيد عبد العزيز سالم، وكتاب إشبيلية في القرن الخامس لصالح خلص، وكتاب مملكة غرناطة في عهد بني زيري البربر لمريم قاسم طويل، وغيرها من الدراسات.

أما موضوع البحث الذي عنون بـ مدينة طليطلة في سياقات الوصف الجغرافي والتاريخي من التأسيس إلى السقوط (92-487هـ/711-1085م)، حيث تعد هذه الفترة حقبة تاريخية بالغة الأهمية منذ فتحها الإسلامي ودخول طارق بن زياد إليها إلى غاية سقوطها بيد الإسبان.

ونظرا لأهمية دراسة التاريخ الأندلسي وتاريخ مدنه خاصة وقع اختياري على مدينة طليطلة محورا للبحث وهذا لعدة أسباب ودوافع من أهمها:

- نقص الدراسات حول هذه المدينة رغم أهميتها التاريخية خاصة في المجال السياسي والجغرافي.
- محاولة جمع أكبر قدر من المعلومات الخاصة بها في مختلف المصادر ومحاولة جعل هذه الدراسة شاملة لكافة الجوانب (السياسية، الجغرافية).

تكمن أهمية موضوعنا هذا في التركيز على أبرز الأحداث خاصة السياسية والجغرافية التي جعلت من هذه المدينة حاضرة منالحواضر الأندلسية خاصة وكذلك معرفة رجال وأمراء وملاك المدينة والكشف من مسار أحوالها.

حظي موضوعنا هذا بدراسات سابقة مختصة عن مدينة طليطلة، حيث ركز موضوعها على النواحي الجغرافية والسياسية أو الحضارية والعمرانية، وتناولت الموضوع في فترات تاريخية معينة، لكن موضوع البحث الذي لدينا شمل هذه الفترات لأننا درسنا المدينة منذ فتحهاإلى غاية سقوطها وهذا ما جعل موضوعنا في المتناول.

وأيضا فيما يخص الدراسات السابقة وجدنا دراسة مشابهة لموضوعنا هذا وكانت رسالة ماجستير جاءت بعنوان تاريخ مدينة طليطلة في العصر الإسلامي دراسة تاريخية حضارية (92-478هـ) من إعداد إبراهيم بن عطية الله بن هلال السلمي، ساعدتني هذه الدراسة في كيفية التعامل مع المادة العلمية وتنظيمها، أما الاختلاف بين الموضوعين أن هذه الدراسة كانت شاملة حيث تطرق صاحبها إلى ذكر جميع الجوانب الجغرافية والسياسية والحضارية والعمرانية لمدينة طليطلة، وموضوعي قد تخصص في جغرافية المدينة وتاريخه السياسي منذ فتحها إلى غاية سقوطها.

ومن خلال هذه الدراسة طرحت إشكالية تتمحور حول الجوانب الجغرافية لطليطلة والوقائع والأحداث السياسية ة مخ خلال تواجد المسلمين بها منذ تأسيسها إلى غاية سقوطها على يد الاسبان، ما مدى تأثير موقع المدينة الجغرافي على الوقائع السياسية؟، وقد تفرعت عن هذه الإشكالية عدة تساؤلات هي كالآتي:

- كيف ساهم الموقع الجغرافي للمدينة على بروزها كقوة سياسية واقتصادية؟
- ما طبيعة العلاقة بين طليطلة والحكومة المركزية بالأندلس؟
- ما أبرز العوامل التي ساهمت في خروج المدينة على نطاق الحكم الإسلامي؟

ولدراسة أي موضوع من المواضيع يستلزم وضع خطة يسير على منوالها الباحث وهي بمكانة نقطة رئيسية للشروع في دراسة الموضوع وهي كالآتي: مقدمة، ثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: جاء بعنوان جغرافية مدينة طليطلة، تناولنا فيه الجغرافية الطبيعية للمدينة كما وضحنا فيه موقعها وحدودها مع ذكر تضاريسها والمناخ السائد بها وتطرقت في هذا الفصل إلى ذكر الخصائص الاقتصادية المتمثلة في الزراعة والصناعة والتجارة ومساهمة هذه الخصائص في إبراز المدينة

كقوة اقتصادية داخل الأندلس وخارجها مع ذكر التركيبة السكانية التي ساهمت بشكل كبير في تقديم المدينة كحاضرة ومكان للتعايش بين الديانات الثلاث والتي عكست الوضع السائد للمدينة المتمثل في الاستقرار.

الفصل الثاني: عنون بـ التاريخ السياسي لمدينة طليطلة منذ الفتح إلى غاية انهيار الخلافة الأموية، تناولنا فيه مختلف الوقائع السياسية من خلال العهود الثلاثة، ابتداء من عصر الولاة ثم الإمارة إلى غاية عهد الخلافة الأموية.

اتضح لنا في عهد الولاة فتح طليطلة وإنشاء أول قاعدة عسكرية إسلامية بها، ثم تغيير العاصمة وبقاء المدينة تحت الحكم المركزي رغم تتابع الولاة على حكم بلاد الأندلس.

أما في عهد الإمارة تحولت المدينة على ما كانت عليه في عصر الولاة، حيث خرجت عن الحكم المركزي كما كثر الثائرون بها الرافضين للإمارة، وفي هذه الفترة برزت مدينة طليطلة في الكثير من الأحداث السياسية وهنا يتضح لنا مدى أهمية دراسة تاريخها، باعتبار أن المدينة تتوسط بلاد الأندلس كان لها تأثير كبير على المدن المجاورة لها لهذا ظلت في هذه الفترة مركزا للصراعات وملجأ للثائرين.

وفي عصر الخلافة الأموية تظهر لنا طليطلة بصورة مغايرة عكس الفترة السابقة، خاصة بعدما أقر أمرها الخليفة عبد الرحمان الناصر والذي حول حالها للأفضل، تحولت المدينة إلى مركز بخروج جيش الجهاد الإسلامي لحماية بلاد الأندلس وحدودها، نال خلفاء الدولة الأموية رضا أهل مدينة طليطلة ومساندتهم لهم.

الفصل الثالث: كان تحت عنوان سقوط مدينة طليطلة، تعد هذه المرحلة نقطة تحول بالنسبة للمدينة التي أضحت مملكة من ممالك الطوائف ظهور أسرة بن ذي النون التي استقلت لحكم المدينة، واجهت طليطلة في ظل حكم هذه الأسرة العديد من الصراعات، كما ظهرت أطماع الكثير من ملوك وحتى النصارى الراغبين في ضم أطرافها ومحاولة السيطرة عليها.

ولإنجاز هذا العمل وبلوغ الهدف المرسوم اتبعنا المنهج التاريخي الذي يتخلله الوصف والتحليل، لما فيه من وصف للمدينة وسرد وقائعها الزمانية والمكانية منذ فتحها إلى غاية سقوطها على يد الاسبان.

ومن خلال هذا اعتمدنا على مجموعة من المصادر المتنوعة والمراجع الأكاديمية التي كانت على صلة بموضوع الدراسة والتي لا غنى عنها للباحث في دراسة التاريخ الأندلسي، نذكرمن أهمها:

أولا: المصادر:

- **كتب التاريخ العام:**

1- ابن عذارى المراكشي (كان حيا 712هـ/1312م) أبو العباس أحمد **بن محمد، كتاب "البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"**، وهو من بين أهم الكتب التي اختصت بدراسة التاريخ السياسية والعسكري اضافة إلى الأحوال الاجتماعية، يتكون الكتاب من خمسة أجزاء، ورد بهذا الكتاب معلومات كثيرة حول مدينة طليطلة وذلك في الجزء الثاني تضمن هذا الكتاب جوانب مهمة في موضوع البحث.

2- أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ/1632م) المكنى أبو العباس شهاب الدين القرشي، كتابه "نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب"، يعد هذا المصنف من أعظم الموسوعات التاريخية، احتوى على العديد من المعلومات المهمة والقيمة عن تاريخ بلاد الأندلس، ألف صاحب الكتاب هذه المؤلفة وهو بعيد عن موطنه ببلاد المشرق، هذا الكتاب مصدر أساسي بالنسبة للباحثين عن تاريخ الأندلس، يتكون هذا الأخير من ثمانية أجزاء استفدت منه في استنباط بعض المعلومات في الجانب السياسي لمدينة طلطيلة.

3- ابن بسام الشنتريني (ت542هـ/1147م) أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني، كتابه "الذخيرةفي محاسن أهل الجزيرة"، يوجد بهذا الكتاب أربعة أقسام في ثمانية مجلدات، نشره إحسان عباس، يعد هذا المصدر موسوعة أدبية وتاريخية، استفدت منه بشكل خاص في سقوط مدينة طليطلة وأسرة بني ذي النون.

4- لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ/1374م) أبو عبد الله محمد، كتابه "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام"، تضمن هذا الكتاب ودويلات ملوك الطوائف التي حملت في طياتها أخبار أحوال طليطلة في المجال السياسي.

- **كتب الجغرافيا:**

1- الحميري (ت750هـ/1340م)ابن عبد المنعم الحميري، كتابه "الروض المعطار في أخبار الأقطار"، استفدت منه في التعريف بالمدن الأندلسية والتعرف على جغرافية مدينة طليطلة، يعد هذا الكتاب من أهم الكتب الجغرافية التي ألفت من قبل المغاربة.

2- ياقوت الحموي (ت626هـ/1228م) الإمام شهاب الدين أبي عبد الله، كتابه "معجم البلدان، استفدت منه في ذكر بعض المدن الأندلسية، وهذا الكتاب عبارة عن معجم جغرافي بالغ الأهمية، حيث يصف الحموي البلدان وصفا دقيقا ومفصلا.

ثانيا: المراجع:

1- محمد عبد الله عنان: كتابه "دولة الإسلام في الأندلس"، تضمن هذا الكتاب أربعة عصور من بينها نذكر تاريخ فتح الأندلس إلى انهيار الدولة العامرية وأيضا عهد ملوك الطوائف وجميع المعلومات الخاصة بأسرة بني ذي النون، كما يشمل تاريخ الأندلس منذ الفتح إلى غاية سقوط الأندلس.

2- عبد المجيد نعناع: كتابه "الإسلام في طليطلة"، ذكر لنا صاحب الكتاب الجوانب السياسية والحضارية لطليطلة، وفترة حكم بني ذي النون للمدينة، استفدت من هذا الكتاب في أهم المحطات التاريخية والسياسية لمدينة طليطلة.

وكأي بحث تاريخي أكاديمي لا يخلو من الصعوبات، واجهتنا في إنجاز هذا العمل العديد من الصعوبات أذكر منها:

- توفر المادة العلمية الغزيرة وصعوبة التحكم فيها خاصة في الفصل الثاني الذي تحدثت فيه عن التاريخ السياسي لمدينة طليطلة منذ فتحها إلى غاية سقوطها.

- ندرة المادة العلمية في الفصل الأول والذي تطرقت فيه إلى جغرافية مدينة طليطلة خاصة في الجغرافية الطبيعية للمدينة، حيث لم تذكر المصادر الجغرافية معلومات كافية حول المدينة.

الفصل الأول: جغرافية مدينة طليطلة

المبحث الأول: الجغرافية الطبيعية لمدينة طليطلة.

المبحث الثاني: الخصائص الاقتصادية لمدينة طليطلة.

المبحث الثالث: التركيبة السكانية لمدينة طليطلة.

المبحث الأول: الجغرافية الطبيعية لمدينة طليطلة:

أولى العديد من المؤرخين والباحثين انشغالا وعناية كبيرة في تاريخ المدن، وهنالك العديد من المدن الأندلسية (الملحق رقم 01) التي حظيت بدراسة تاريخها ومن بينها نذكر مدينة طليطلة التي تعد من أقدم مدن شبه الجزيرة الايبيرية، وعاصمة دولة القوط قبل الفتح الإسلامي، وواحدة من أكبر الحواضر الإسلامية.

قبل أن نتحدث عن أهمية مدينة طليطلة من الناحية الجغرافية، لا بد لنا أن نرجعإلى أصل تسمية هذه المدينة، ودلالتها اللغوية واللفظية، فقد سجلت لنا أقلام العديد من المؤرخين ومن خلال مصادر ومراجع مختلفة، وأيضا كانت كتب جغرافية أو كتب في التاريخ العام وغيرها.

ورد لهذه المدينة تسميات مختلفة وعديدة، فمثلا نذكر المقري سماها (قيصر) بلسانه " بزطيلة" ومعنى هذا أنت فارح، بحيث قام العرب بدورهم بتغييرها فقالوا "طيليطلة".[1]

كما زعم العرب أيضا أن مدينة طليطلة باللاتيني "تولاظو" ومعناه فرح ساكنها، ويعود هذا التأويل إلى مدى حصانة ومناعة المدينة [2]، أما في كتب التاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس فقد ذكر لنا عبد العزيز سالم أن اسم طليطلة هو تعريب لاسم دوليدوث Toledoth، ويرجع هذا الإسم إلى العهد الروماني وتعني "المدينة المحصنة".[3]

نلاحظ من خلال ما وردنا حول أصل تسمية مدينة طليطلة ومعناه، أن حصانة ومناعة المدينة أعطاها مكانة مميزة، انعكست بذلك على تسميتها، ويعود هذا أيضا إلى موقع المدينة الجغرافي الذي وضعها موضع حماية طبيعية كون أنها محاطة بسلاسل جبلية وأنهار مما جعل كل من سكنها شعر بالفرح والارتياح.

---

[1] المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، دار الصادر، بيروت، 1988م، ص 161.

[2] الحميري، صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطاء، تح: ليفي بروفينسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988م، ص 133.

[3] عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ط، 1985م، ص 151.

وباعتبار مدينة طليطلة من المدن الأندلسية لها خصائص ميزتها عن باقي المدن الأخرى من حيث الموقع والجغرافية، كما ذكرت في العديد من المصادر جغرافية الأندلس وذلك بوصف أهم معالمها وبأسماء متعددة وألفاظ مختلفة، فنجد ثلاثة صيغ للفظ مدينة طليطلة:

أولا: ضبط الحميدياسمها بضم الطائينوفتح اللامين " طُلَيطُلَة ".[1]

ثانيا: ضم الطاء الأولى وفتح الطاء الثانية مع فتح اللامين " طُلَيطَلَة "[2] وهذا أكثر ما سمعناه من المغاربة وهذا اللفظ أقرب إلى اللفظ الأول.

ثالثا: ضم الطاء المهملة وفتح اللام والسكون المثناة من تحت وكسر الطاء الثانية ثم لام وهاء "طُلَيطِلَة" وهذا ما ذكره أبو الفداء من خلال كتابه تقويم البلدان. [3]

ومن خلال هذه الصيغ المذكورة نقول أن الصيغة الأكثر استخداما هي الصيغة الأولى وذلك من خلال تورادستخدامها وذكرها في العديد من المصادر التاريخية.

أولا: موقع مدينة طليطلة:

تتميز مدينة طليطلة بموقع جغرافي هام، كما تقع هذه المدينة في الإقليم الخامس من الأقاليم التي تشكل ربع معمور الأرض[4]، كما أنها تعد مركز بلاد الأندلس أي تتوسطها.[5]

كما أنها محاطة من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها بمجموعة من المماليك، فحدودها من الجهة الشرقية نجدها مع مملكة سرقسطة، ومن الغرب مع مملكة بني الأفطس، أما من الناحية الشمالية

---

[1] شهاب الدين إبن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م، ص 45.

[2] صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البحاوي، ج2، دار إحياء الكتب العربية، 1373هـ-1954م، ص 892.

[3] ابو الفداء، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م، ص 176.

[4] البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، تح: عبد الرحمان علي حجي، ط1، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، 1387هـ-1968م، ص 87.

[5] المقري، المصدر السابق، ج1، ص161.وينظر أيضا: شكيب أرسلان، الحلل السنسدسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ط1، ج1، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1936م، ص363.

فنجد مملكة قشتالة وليون، ومن الجنوب إمارة قرطبة ومملكة غرناطة ومملكة الصقالبة وهي تتربع على خمس مساحة الأندلس[1] وعاصمتها طليطلة.

ومن خلال كتاب جغرافية الأندلس وأوروبا، نجد أن مدينة طليطلة تضم مجموعة من المدن حصرها لنا البكري فقال:"في عشرين مدينة قادتها مدينة طليطلة"[2]، أما الإدريسي فقد حدد لنا الإقليم الذي تقع فيه مدينة طليطلة:" تقع في إقليم جبال الشارات وفيه طلبيرة وطليطلة ومجريط والفهميين ووادي الحجارة، إقليش ووبذة ".[3]

أما المراجع العربية فنجد المدن التي تحد مدينة طليطلة نجد مدينة سالم ووادي الحجارة قونةوبذة، إقليش، مورة، طلبيرة، ترجالة، كما يضيف لنا مختار العبادي مدينة مجريط.[4]

ومن هذا نلاحظ أن هنالك تذبذب واختلاف في تحديد حدود المدن المجاورة لمدينة طليطلة من خلال مختلف المصادر والمراجع وهذا لفترات زمنية مختلفة، ويعود هذا إلى عدم استقرار المنطقة بسبب الحروب خاصة فترة ملوك الطوائف. (الملحق رقم 02)

كما يظهر لنا توسط مدينة طليطلة لبلاد الأندلس، أن السفر منها إلى العديد من المدن الأندلسية يستغرق 450 كلم[5]، ومن المدن التي تتساوى في الزمن مع مدينة طليطلة نجد قرطبة[6] بلنسية[7]،

---

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 2004م، ص 419.

[2] البكري، المصدر السابق، ط1، ص89.

[3] الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهت المشتاق، تح: إسماعيل العربي، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر الجزائر، د ت، ص261.

[4] مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1985م، ص151.

[5] الحميري، المصدر السابق، ج1، ص 133.

[6] قرطبة: قاعدة الأندلس وأم مدنها ومستقر خلافة الأمويين، طولها من غربها إلى شرقها ثلاثة أميال، وهي في فسح جبلة مطل عليها يسمى العروس. أنظر: الحميري، المصدر نفسه، ط2، ص 153.

[7] بلنسية: قاعدة من قواعد الأندلس تقع شرق البلاد، مدينة سهلية، كثيرة التجارة بينها وبين البحر ثلاثة أيام. أنظر(**ينظر**) : الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، القاهرة، 2002، ص 536. وينظر أيضا: الحميري، المصدر السابق، ط2، ص 556.

أليريا[1]، لشبونة[2]، شنت ياقوت[3]، جاقة[4]، وكل هذه المدن تقع على أطراف الأندلس[5] إلا أن الحكم بدقة مسافة هذه المراحل غير أكيد.

وصف لنا العديد من المؤرخين مدينة طليطلة من بينهم ابن بسام الشنتريني حيث قال: "هي من الجزيرة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة، تدركها من جميع نواحيها ويستوى في الأضرار بها قاصيها ودانيها"[6]، ويدل هذا على مدى أهمية موقع المدينة كما بحيث أن توسط طليطلة ببلاد الأندلس جعل منها واحدة من أبرز المدن الأندلسية كما أنها مركز الأندلس وهي عبارة عن همزة وصل بينها وبين المدن المحاطة بها.

تبدأ مدينة طليطلة من قلعة يعقوب ومدينة سالم في الشمال ولا تنتهي إلا قرب مجرى الوادي الكبير في أحواز بلد يسمى قبدة، أما من الشرق فكانت هاته المدينة تبدأ عند فونكة ولا تنتهي إلا عند أحواز ما يعرف اليوم بالبرتغال.[7]

كما يلاحظ أن مدينة طليطلة تميل إلى جنوب الأندلس عن الشمال[8]، كما أنها تقع جنوب جبل الشارات الذي يتوسط الأندلس[1]، ونظرا لأهمية موقع مدينة طليطلة فقد قرن بمواقع مند الأندلس فهي تقع شمال شرق قرطبة حاضرة الدولة الأموية ومن أشهر مدن الأندلس.

---

[1] أليرية: مدينة محدثة أمر ببنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله وهي في ذاتها عبارة عن جبلان بينهما خندق معمور، ولها أبواب عدة كثيرة الخيرات. أنظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 184.

[2] لشبونة أو أشبونة : مدينة غرب تاجة، تطل على بحر الضلمات وهي شرق مدينة طليطلة. أنظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 17.

[3] شنت ياقوت: كنيسة عظيمة في ثغور ماردة، مبنية على جسد يعقوب الحوري. أنظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 115.

[4] جاقة: تقع في الشمال الشرقي لبلاد الأندلس، لها ممر تخترق جبال البرتات. أنظر: عبد الرحمان علي حجي ، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92. 897هـ-1492.71م)، ط2، دار القلم، دمشق، 1981م، ص33.

[5] الإدريسي، نزهت المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، ص536.

[6] إبن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ج2، دار الثقافة، 1997م، ص249.

[7] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 419.

[8] شكيب أرسلان، المجع السابق، ط1، ج1، ص 363.

تقع طليطلة جنوب غرب العاصمة الإسبانية مدريد حاليا وهذا ما يوضح أن توسط طليطلة لجزيرة الأندلس أكسبها سهولة الاتصال بالمدن الأندلسية الأخرى، كما ساهم توسطها في إنعاش اقتصادها وتبادل المنافع من المدن المجاورة لها، ومن الناحية الجغرافية فهي تتسم بالمناعة والحصانة[2]، في كونها تقع على أكمة صخرية يبلغ ارتفاعها568 متر، وترتفع عن سطح البحر بأكثر من 500 متر، كما يحيط بها نهر تاجة من ثلاثة جهات عدا واجهة واحدة وهي الجهة الشمالية.[3]

يحيط بمدينة طليطلة سبعة جبال[4] من الناحية الشمالية، جبال الشارات[5] أما من الجهة الجنوبية فنجد سلسلة جبال طليطلة (Ortetsua Cordillera) تتكون من ثلاثة سلاسل جبلية يلي بعضها بعضا وهي من الشرق إلى الغرب، بينهما جبال طليطلة[6]، حيث لا يكاد بها مساحة مسطحة كما يزيد ارتفاعهاعن 200 متر، بالإضافة إلى أن بمدينة طليطلة جبل يعرف بجل عمروس.

ومن خلال ما ذكرناه يظهر لنا أن مدينة تمتاز بموقع استراتيجي وجغرافي هام، كما أنها تتمتع بحصانة طبيعية كبيرة من الناذر أن نجدها في مدينة أخرى، فهي محاطة بسلاسل جبلية كبيرة بالإضافة إلى نهر تاجة، مما يصعب على الجيوش التنقل من النهر والوصول إلى السلاسل الجبلية بالإضافة إلى إنهاك الجيش حال وصوله.

ثانيا: المناخ السائد في مدينة طليطلة

[1] الأدريسيّ، نزهت المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، المصدر السابق، ص 536.

[2] ابو الفداء، المصدر السابق، ص 178.

[3] إبن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمان علي حجي، المكتبة الأندلية 4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ص ص: 278-279.

[4] وردة عابد، القيادة العسكرية في الثغرين الأعلى والأدنى بالأندلس في القرن الخامس هجري حتى الربع الأول من القرن السادس هجري (ق11- 12م)،(رسالة ماجستير) ، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، قسنطينة 2008-2009م، ص25.

[5] الحميري، المصدر السابق، ط2، ص 394.

[6] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ط1، ج1، ص 224 .

أما فيما يخص المناخ السائد في المدينة فقد ذكر لنا المقري عن الشيخ محمد بن موسى الرازي أن الأندلس أندلسان حيث قال:"الأندلس أندلسان في اختلاف هبوب أرياحها ومواقع أمطارها وجريان أنهارها"[1] وبذلك يقسم الأندلس إلى قسمان أندلس غربي وأندلس شرقي، كما يحدد موقع مدينة طليطلة في الجزء الغربي للأندلس.

تتأثر مدينة طليطلة بالمناخ الشبه الجاف البارد، وذلك لموقعها القريب من البحر المتوسط تكون درجات الحرارة في فصل الشتاء معتدلة، وحارة وجافة في فصل الصيف وعلى الرغم من هطول الأمطار المنخفضة في المدينة إلا أنها تسقط خلال فترة منتصف فصل الخريف تمتد حتى فصل منتصف الربيع[2].

أما فيما يخص كمية التساقط وهطول الأمطار، فمدينة طليطلة تمتاز بارتفاعكمية التساقط في فصل الشتاء، كما أن الصقيع يتكون على قمم الجبال.[3]

ومما سبق نستنتج أن المناخ السائد في مدينة طليطلة والمتمثل في الاعتدال بحيث صيف جاف وحار وشتاء بارد وممطر مما يفسر لنا أن المدينة تمتاز بخصوبة الأراضي الزراعية وتنوع في الغطاء النباتي وهذا يعود إلى موقعها الجغرافي الممتاز، وتنوع تضاريسها المتمثلة في السلاسل الجبلية والأنهار التي ساهمت بشكل كبير بتنوع الثروة النباتية والحيوانية ويمكننا أن نفسر اختلاف هبوب الرياح وتقسيم الأندلس إلى أندلس شرقي وأندلس غربي الذي جاء في قول الرازي. وتحديد موقع مدينة طليطلة في الجزء الغربي يعود إلى أن المدينة محاطة بسلاسل جبلية التي تميزها في تنوع المناخ والنبات بها وحتى الحيوانات حيث كلما زاد ارتفاع المنطقة الجبلية ارتفعت نسبة التساقط وازدادت شدة هبوب الرياح.

أما فيما يخص التربة التي تعد المقوم الأساسي للزراعة، حيث حدد المؤرخون المختصون في الفلاحة بالأندلس، فقد ذكروا لنا أنواع التربة بها التي تسمى في المجال العلمي "علم أنواع التربة".[1]

---

[1] المقري، المصدر السابق، ج01، ص121.

[2] حسين عبد العزيز أحمد، جغرافية أوروبا، دار المريخ للنشر، الرياض، 1402هـ-1982م، ص-ص: 55-56.

[3] وردة عابد، المرجع السابق، ص25.

فنجد ابن العوام في كتابه معرفة أنواع الأرض فيقول نقلا عن ابن الحجاج الإشبيلي: " اول مراتب) علم الفلاحة هو معرفة الأرض..."[2] أي أن التربة لها فائدة كبيرة في الفلاحة، كما صنف العلماء التربة في الأندلس أنواع، فنجد عندابن بصال من كتاب الفلاحة بعنوان (في ذكر الأرضين) يقسم الأرض إلى عشرة أنواع: الأرض اللينة، الغليظة، الجبلية، الرملية، السوداء، المحترقة الوجه، البيضاء الصفراء، الحمراء الحرشاء المكدنة، ولكن لهذه الأنواع نباتات خاصة بها.[3]

تتميز مدينة طليطلة باحتوائها على أنواع مختلفة من الأرض منها الأرض السوداء والتي قال عنها ابن العوام أنها من أجود الأراضي لأنها تحمل في جوفها الأمطار[4]، كما تمتاز بالحرارة، وتكون بعيدة عن مساكن الناس [5] ويجود فيها الحبوب وتزرع بها البقول.

وهذا ما يفسر لنا غنى مدينة طليطلة لإنتاجها للحبوب خاصة القمح الذي يتميز بجودته العالية.

أما النوع الثاني للأرض الموجودة بطليطلة هي الأرض البيضاء التي تمتاز بالبرد واليبس لأنها تحتاج إلى الماء ونباتها يحتاج إلى الزبل الكثير[6]، وهذه التربة جبلية، وبحكم أن الطبيعة الجغرافية لمدينة طليطلة والتي تتميز بسلاسلها الجبلية مثل جبال الشارات كما تصلح في هذه الأرض بعض النباتات منها: شجر التين، الزيتون، الخروب، الرمان.[7]

وأيضا بمدينة طليطلة الأرض الجبلية التي تمتاز بالبرود واليبوسة والتي ينعدم فيها ثمار والنباتات بسبب حروشتها[8]، وتمتاز ببعض النباتات منها: البلوط، الصنوبر، اللوز، التي تحتاج إلى الماء[9] الكثير وهي

---

[1] لوسي بولنس، التقاليد والأساليب التقنية في الأندلس بين القرنين 11-12م، ضمن كتاب جماعي حول: إسهامات العرب في علم الفلاحة، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1988م، ص 413.

[2] ابن العوام، كتاب الفلاحة، تر: دون جوزيف أنتونيو أنكيري، ط1، مدريد، 1802م، ص 01.

[3] ابن بصال الطليطلي، كتاب الفلاحة، تر: خوسي ماريا بيكروسا، محمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1955م، ص41.

[4] عبد الغني النابلسي، الملاحة في علم الفلاحة، ط1، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1979م، ص 13.

[5] ابن بصال، المصدر السابق، ص ص: 432-424.

[3] ابن العوام، المصدر السابق، ص43.

[7] ابن بصال، المصدر السابق، ص 45.

[8] النابلسي، المصدر السابق، ص 14.

[9] ابن العوام، المصدر السابق، ص 42.

تتشابه مع الأرض البيضاء فكلتاهما تحتاجان إلى الزبل الكثير كما تشتركان في بعض النباتات في الصنوبر.[1]

[1] ابن بصال، المصدر السابق، ص 47.

المبحث الثاني: الخصائص الاقتصادية لمدينة طليطلة

يعتبر موقع جزيرة الأندلس موقع بالغ الأهمية، حيث تحيط به المياه من ثلاثة جهات، فمن الشرق تحدها مياه بحر الروم أو مياه بحر الشمال (البحر الأبيض المتوسط)، ومن الجنوب بحر الزقاق ومن الغرب والشمال الغربي تحدها مياه بحر الظلمات أو بحر المحيط الهادي (المحيط الأطلسي) ومن الشمال تحدها مياه جبال البرت.[1]

كما نجد أن أرض الأندلس عبارة عن هضبة يبلغ متوسط ارتفاعها على مستوى البحر بحوالي ما يقرب من 600 متر، تنتشر بها سلاسل جبلية ومرتفعات[2]، كما تتخللها الوديان الخصبة التي تجري بها الأنهار لذا نجد تنوع سطح الأرض لبلاد الأندلس، ومن خلال موقع الأندلس المحاط بالمياه جعل أرضها تمتاز بالخصوبة، حيث وصفها الزهري فقال عنها: "هي أبرك بقاع الأرض وأكثر نسلا... ومن بركتها أنه لا يمشي الإنسان فيها فرسخين دون ماء ولا يمشي ثلاثة فراسخ إلا وجد فيها الخبز والزيت."[3] وهذا يعني أن أرض بلاد الأندلس أرض تتوفر فيها الشبكات المائية التي تعد عامل أساسي لتطور النشاط الزراعي بصفة خاصة.

ومن بين المدن الأندلسية التي برزت في عدة مجالات مختلفة نجد مدينة طليطلة التي تمتاز بموقعها الطبيعي ومناخها المعتدل، كما تتوفر على المائية وخصوبة أراضيها الصالحة للزراعة، جعل من هذه المدينة تحتوي على عدة خصائص اقتصادية مكنتها من أن تكون مدينة زراعية، صناعية وتجارية محضة،كما تتوفر على الثروة الحيوانية.

[1] ابو الفداء، المصدر السابق، ص 169.

[2] حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 198.

[3] الزهري، الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مج 1، مجلة الدراسات الشرقية، دمشق، 1968م، ص 60.

أ- الزراعة:

تعتبر الزراعة من بين إحدى أهم الدعائم الرئيسية لاقتصاد أي بلد من البلدان، لذا أولى سكان بلاد الأندلس عناية خاصة بالفلاحة، كما اهتموا بالنشاطات الزراعية المختلفة.

تعد العوامل المناخية من بين العوامل الرئيسية التي تؤثر بشكل كبير على الإنتاج الزراعي وتنوع محاصيله، لذا نجد اتساع الرقعة الجغرافية لبلاد الأندلس واختلاف تضاريسها نتج عنه تنوع في المناخ ما أدى إلى وجود محاصيل زراعية مختلفة وهذا ما أكده لنا البكري بوصفه للأندلس حيث قال: "شامية في طيبها وهوائها[1]، وهو بهذا الوصف يشبهها ببلاد الشام، أي كلما اتسعت المساحة للبلاد اختلف المناخ وتنوعت الزراعات.

لذا نجد ببلاد الأندلس وجود العديد من المنتوجات الزراعية المتنوعة، تميزت بعض المدن الأندلسية بإنتاج أنواع معينة من المحاصيل اشتهرت بها من بين هذه المدن نجد مدينة طليطلة.

كانت مدينة طليطلة محاطة بالعديد من البساتين ووجود العديد من أوجه الفواكه والطعوم الأخرى، كما ذكر العديد من المؤرخين خيرات طليطلة، متقاربة كقولهم: "ولمدينة طليطلة بساتين محدقة بها وأنهار مخترقة ورياض وجنان".[2]

كما وصفوا الغلات والزرع وأماكن وجودها في المدن والقرى، مما شجع على إقامة أسواق لبيع هذه المحاصيل التي لاقت ازدهارا وإقبالا عليها من جميع أقطار الأندلس وخارجها، مما ولد عن هذا ظهور نوع من حياة الرفاهية وذلك بإقامة الفنادق والحمامات.[3]

[1] البكري، المصدر السابق، ط1، ص 92.

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ج1، ص 277. وينظر أيضا: الحميري، المصدر السابق، ط2، ص 394.

[3] الإدريسي، نفسه، ص 277.

كما ذكرت لنا بعض المصادر أن مدينة طليطلة كانت بها بساتين مختلفة مخترقة بأنهار ووصفت بجنة الله في الأرض، أي أن مدينة طليطلة كانت عظيمة الخيرات، مختلفةالمحاصيل ومساهمة سكان المدينة بشكل واسع بتطور هذه المحاصيل وتنوعها.[1]

اشتهرت مدينة طليطلة بالمنتوجات الزراعية التي فيها حاجة المجتمع وعلى رأسها القمحوالشعير بحيث جاء وصف القمح:"حنطتها لا تسوس على مر السنين يتوارثها الخلف والسلف".[2]كما ذكر الزهري في وصفه للقمح لمدينة طليطلة فقال:"يبقى فيها سبعين وثمانين ومائة سنة ولا يسوس"[3]، وهذا يدل على جودة القمح بمدينة طيلطلة.

وذكر لنا أيضا المقري أن مدينة طليطلة كانت تنتج مواد زراعية مختلفة، فكان من بينها الحبوب القمح، الشعير، الأرز، كما عرفنا على العديد من الأشجار المثمرة مثل: الكرم، الزيتون والرمان، الحمضيات وغيرها.

وبما أن مدينة طيلطلة تحتوي على اختلاف في تضاريسها بحيث نجد بها الّأراضي المسطحة التي تمتاز بخصوبتها، فإنها على أنواع مختلفة من الزراعات مثل الحبوب والفواكه[4]، كمانجد بها المناطق الجبلية التي بها أصناف مختلفة من الأشجار التي تلائم الطبيعة الجبلية، فنجد من النباتات الجبلية أشجار البلوط، العرعار، الفلين، الصنوبر، أشجار الزيتون والعديد من النباتات التي تتلائممع المناخ والأرض.

لم يكتب لتطور الزراعة ونجاحها في مدينة طيلطلة إلا بتوفر ومساهمة عدة عوامل طبيعية وهي الموقع الممتاز التي استأثرت به الأندلس بصفة عامة ومدينة طليطلة بصفة خاصة.

من العوامل الطبيعية المساعدة في التطور الزراعي نجد عنصر الماء المتمثل في كمية التساقط سواء كانت أمطارا أم ثلوجا، إضافة إلى أن مدينة طليطلة تتخللها مجموعة من الأودية والأنهار من بينها نهر تاجة،

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق، المصدر السابق، ج1، ص 278.

[2] الزهري، المصدر السابق، ص 83.

[3] الحميري، المصدر السابق، ط2، ص 394.

[4] ابن العوام، المصدر السابق، ص 45.

الذي يحيط بالمدينة من ثلاثة جهات، الأمر الذي ساهم بشكل كبير في تنوع الغطاء النباتي والمحصول الزراعي، الأمر الذي دعى إلى تصدير طليطلة لبعض المحاصيل الزراعية من بينها القمح والكروم.

ب- التجارة:

كانت بلاد الأندلس منذ الفتح الإسلامي دائمة النشاط التجاري والصناعي بالرغم من كل ما مرت به من إضرابات سياسية وأمنية التي تعتريها من حين إلى حين.

لقد خص ابن خلدونصنائع الأندلس المختلفة في الفصل الثامن من مقدمته، حيث تجلى في العديد من المنتوجات المختلفة منها المنتوجات الزراعية والمعدنية وغيرها.[1]

لاقت المنتوجات الأندلسية رواجا كبيرا داخل وخارج الأندلس، إذ أنها كانت تحتوي على أسواق تجارية بها المنتوجات الداخلية للبلاد من بينها العطور التي لاقت رواجا واسعا، وأيضا الزيوت والصابون والعديد من المنتوجات ذات الجودة العالية.[2]

ومن خلال ما ذكرناه سابقا حول مكانة مدينة طليطلة من حيث الإنتاج الزراعي، حيث برزت أيضا في النشاط التجاري وظهرت كقوة تجارية ضخمة في هذه الفترة، كما اشتهرت مدينة طليطلة بتجارة الزعفران داخل الأندلس وخارجه، حيث كان يحمل إلى البلدان البعيدة من بينها بلاد الشام.[3]

كانت مدينة طليطلة تصدر مختلف المنتوجات الزراعية مثل الفواكه والكروم، نظرا لمدى جودة المحاصيل الزراعية لمدينة طليطلة ازدادالطلب عليها خاصة القمح والشعير[4] الذي كانت تصدره إلى خارج بلاد الأندلس بالأخص بلاد الشام والعراق.

كما كانت تصدر المنتوجات الجلدية والفخارية والزجاجية، وأدوات الموسيقى ومواد الصباغة خاصة الزعفران[1]، كما كان هناك أسباب شجعت حركة التجارة بطليطلة من بينها توفر الأمن في حدود

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، مجلس المعارف ولاية سوريا الجليلة، بيروت، ط3،ج1، 1900م، ص 716.

[2] الإدريسي، نزهت المشتاق، المصدر السابق، ج1، ص 270.

[3] الحميري، المصدر السابق، ط2، ص 606.

[4] الحميري، المصدر السابق، ص 606.

المدينة مما أدى إلى ارتياح التجار الوافدين إلى المدينة، كما لم يقحم حكام المدينة أنفسهم في النشاط التجاري الأمر الذي أدى إلى سهولة ممارسة التجارة بطليطلة.

ولتسهيل عملية التجارة قام المسؤولون عن المدينة ببناء الأسواق والفنادق، كما عينوا مراقبين يراقبون الحركة التجارية[2]، وساهمت الدولة أيضا في توفير السيولة نظرا لمكانة المدينة التجارية وللمساهمة في تطورها في المجال التجاري وتحضرها.

ساهم التجار اليهود في تنشيط الحركة التجارية لطليطلة الذي تضمن أنواع مختلفة من المنتوجات التي سبق وذكرناها بالإضافة إلى إنشائهم سوقا خاصة لبيع الرقيق[3]، وبما أن مدينة طليطلة تعد المدينة الروحية للنصارى الذين كانوا يمثلون الأغلبية بالمقارنة مع اليهود الذين زاولوا النشاط التجاري، فقد ساهم النصارى بإنشاء الأسواق التجارية وأيضا بيع العطور.

نجد أيضا الموالي الذين كانت لهم بصمة في التجارة فقد تميزوا بتقديم الخدمات في الفنادق وأيضا منهم من كان يملك أراضي زراعية فزاولوا عملية بيع الفواكه والأسماك.[4]

ومن هنا يمكننا أن نستخلص أن مدينة طيلطلة كانت لها مكانة تجارية وذلك لاحتوائها على العديد من المنتجات منها الزراعية واليدوية، وبما أن مدينة طليطلة تمتاز بتركيبة سكانية مختلفة، فنجد بها أجناسا متنوعة وديانات مختلفة من مسلمين ويهود ونصارى وغيرهم، فيمكننا من خلال هذا الخليط أن نستنتج أنه هنالك تعايش بين مختلف الأعراف والطوائف، وهذا نتاج عن إنتشار الأمن بالمدينة.

---

[1] أحمد موسى، النشاط الاقتصادي في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، دار الشرق، بيروت، 1983م، ص 274.

[2] المرجع نفسه، ص 275.

[3] محمد بن شريفة، أمثال العوام بالأندلس، ج1، مطبعة سغريم، القدس، 1960م، ص 181.

[4] أحمد موسى، المرجع السابق، ص 275.

ج- الصناعة:

أعطى الموقع الجغرافي للأندلس عاملا إيجابيا تمثل في إنشاء المدن مما جعل بعضها مدنا صناعية، التي نالت بذلك شهرة واسعة لكل منها، امتازت كل مدينة بصناعات معينة وبه فقد تعددت وتنوعت الصناعات ببلاد الأندلس بحيث نذكر منها:

- الصناعات المعدنية:

من خلال ما ذكرناه سابقا فإن أرض الأندلس غنية بالخيرات بما فيها المعادن، ومن بينها الحديد الأمر الذي جعل من الأندلس أرضا للصناعات المعدنية، ومنخلال هذا ظهر الحدادون وتنوعت أعمالهم كصناعة السكاكين والأبواب الحديدية التي كانت تركب في القصور والمساجد[1]، من أجل الحماية ومن المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة نجد مدينة قرطبة.[2]

وأيضا وتدخل صناعة الأسلحة أيضا في الصناعات المعدنية التي كانت آنذاك صناعة رائجة ببلاد الأندلس، مثل الخوذة الحديدية التي تحمي رأس المحارب[3]، إضافة إلى الذروع الحديدية التي يرتديها الجنود في المعارك، أيضا نجد صناعة الرماح وغيرها من المستلزمات الحربية.

ومن المعادن الأخرى نجد الذهب، النحاس، القضة، الرصاص، بحيث كانت الأندلس معروفة بصناعة الذهب فصنعوا منه الحلي والسكة المختلفة.[4]

- الصناعات الخشبية:

تنوعت الصناعات الخشبية بالأندلس، من بينها صناعة السفن التي تضمنت في صناعتها الخشب والحديد، ومن مراكز صناعة السفن نجد باجة، طرطوشة، إشبيلية[1]، كما استخدم الخشب في صناعة

---

[1] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج4، ط1، ص 349.

[2] خالد عبد الكريم بن محمود البكر، النشاط الاقتصادي في عصر الإمارة 316 – 138هـ، ط1، مكتبة الملك بن عبد العزيز العامة، الرياض، 1995م، ص 172.

[3] بدر الدين قرح، الصناع وتنظيمهم في الأندلس في عصر الإمارة والخلافة 138-422هـ.706-1031م، رسالة ماجستير، تاريخ المغرب العربي الحديث الوسيط، جامعة الوادي، الجزائر، 2017-2018م، ص ص 27-28.

[4] خالد عبد الكريم، المرجع السابق، ط1، ص 194.

البيوتات والأثاث، وأيضا صنعت منه الآلات الموسيقية كآلة العود، وكانت مدينة بلنسية أكثر التي اهتمت بهذه الصناعة وكانت تفتخر بها.[2]

– صناعة الورق:

عرف المسلمون الورق أثناء الفتح الإسلامي للشرق بمنطقة سمرقند، ثم نقلوا بدورهم هذه الصناعة إلى باقي البلاد الإسلامية حتى وصلت إلى بلاد الأندلس، ومن المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة نجد مدينة طليطلة و بلنسية.[3]

– صناعة الزجاج والخزف:

اشتهرت الأندلس بهذه الصناعة ونالت رواجا واسعا حتى خارج بلاد الأندلس، وكانت ذات جودة عالية ومن المدن التي عرفت هذه الصناعة نجد مدينة غرناطة التي تعد مركزا لصناعة الفخار.[4]

أما الزجاج فقد انتشرت صناعته في مقلة بحيث أعطت لها هذه الصناعة مكانة حضارية[5]وبرزت كما أصبحت من بين أهم المدن الصناعية بالأندلس، استخدم الزجاج في هذه الفترة في العديد من المجلات مثل صناعة الأواني وكذا زخرفة البيوت[6]، الذي كان يطلق عليه بالمقصص الذي يعرف باسم الفسيفساء بالمشرق، الذي يكون ذا ألوان مختلفة يعطي جمالية للمكان الذي يركب فيه سواء كان مسجدا أم قصرا.

---

[1] عبد الفتاح عوض، اشراقات أندلسية صفحات من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، 2007م، ص 40.

[2] ربوح عبد القادر، الورق تاريخ وتطوره، مجلة Cybrarions، ع 44، مصر، 2016م، ص 12.

[3] رابح رمضان، النشاط التجاري بالأندلس خلال القرن الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر ميلادي، راسلة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة السانية وهران، الجزائر 2007-2008م، ص 111.

[4] خالد عبد الكريم، المرجع السابق، ط1، 2010م.

[5] فتيحة تريكي، قراءات تاريخية في الصناعات النباتية في الأندلس في العصر الوسيط، مجلة العصور الجديدة، مج 9، ع 4، 2011م، ص 103.

[6] ابن بصال، المصدر السابق، ص 170.

– صناعة الصابون والعطور:

اهتمالأندلسيون بالنظافة فصنعوا الصابون للتنظيف وغسل الثياب، كما أنشئوا حدائق وأبدعوا في طرق الزراعة والري، من بين الزراعات نجد النباتات الزهرية أحد أهم الزراعات التي كان يتغنى بها الشعراء لجمالها وحسنها.[1]

كما تحدث ابن بصال عن كيفية زراعة النباتات العطرية في الأندلس كالورد والبنفسج والنرجس وغيرها.[2]

– الصناعات الجلدية:

تعتمد هذه الصناعة على الثروة الحيوانية بالدرجة الأولى، كالأغنام والأبقار والماعز، كذا الحيوانات التي يتم صيدها لاستغلال جلودها في الصناعة.

ومن الصناعات الجلدية بالأندلس نجد النعال إضافة إلى أنهم استخدموا الجلود للكتابة قبل معرفتهم للورق.[3]

– صناعات الأدوية:

أبدع العرب منذ القديم في صناعة الأدوية حتى وصل هذا النشاط إلى بلاد الأندلس، بحيث ظهر العديد من الأطباء والصيادلة الذين اهتموا بالأعشاب والنباتات وصنعوا بها الأدوية المختلفة كما استفادوا من العرب واليونانيين وأصبحت بذلك أرض الأندلس أرضا للأطباء والصيادلة.[4]

من خلال هذا يمكننا أن نستخلص أن بلاد الأندلس تميزت باختلاف المنتوجات الصناعية التي جعلت منها أرضا صناعية، بحيث أصبح المجتمع الأندلسي مجتمعا مبدعا ويعود الفضل كما سبق

---

[1] حيزية هوبي، الحرف والصناعات النسيجية والجلدية في الأندلس ق 6 – 9هـ.12-15م، رسالة ماجستير، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة المسيلة، الجزائر، 2018-2019م، ص36.

[2] محمد بشير راضي، إبداعات الطب والصيدلة في الأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971م، ص 138.

[3] حيزية هوبي، المرجع السابق، ص 36.

[4] محمد بشير راضي، المرجع السابق، ص 139.

وذكرنا إلى موقع البلاد والخيرات الموجودة فيها التي ساهمت بشكل كبير بتطور مختلف الصناعات كما برزت العديد من المدن في مجال الصناعة ومن بينها نذكر مدينة طليطلة.

اشتهرت مدينة طليطلة بالعديد من الصناعات ويعود هذا إلى تنوع مناخها وتضاريسها وكما ذكرنا سابقا أن مدينة طليطلة تحتوي على الأراضي الخصبة المسطحة وأيضا تتواجد بها الأراضي الجبلية والمرتفعات، مما جعلها مختلفة الموارد الطبيعية وكما هو معروف أن هذه الموارد تختلف من منطقة إلى أخرى وعلى حسب طبيعة الأرض، ومن بين أهم الصناعات التي اشتهرت بها مدينة طليطلة نذكر:

– الصناعة بالمعدنية:

امتازت مدينة طليطلة باحتوائها على السلاسل الجبلية منها جبال البرتات التي تحتوي على العديد من المعادن المختلفة ذات النفع العام منها الحديد والنحاس وهذا ما ذكره لنا الحميري والإدريسي[1]، كما يوضح لنا شكيب أرسلان في كتابه الحلل السندسية بوجود هذه المعادن (الحديدوالنحاس) بمدينة طليطلة حيث قال: "مدينة علم وصناعة وفيها أحسن معامل للسلاح".[2]

ويعني هذا أن من بين الصناعات المعدنية التي كانت تصنع بمدينة طليطلة نجد صناعة الأسلحة، كما هو معروف أن هذه الصناعة لم تكن جديدة على مدينة طليطلة فقد كانت موجودة من قبل خاصة صناعة الأسلحة التقليدية، ولكن تطورت هذه الصناعة بفضل المسلمين[3]، كما اشتهرت المدينة بصناعة كل لوازم الحرب والجنود من سيوف وذروع والخوذات للرأس التي تستعمل في المعارك[4]، وأيضا استخدم الحديد في صناعة أبواب القصور من أجل حماية المدينة.

– صناعة الورق:

[1] الحميري، المصدر السابق، ط2، 394. وينظر أيضا: الإدريسي، نزهت المشتاق، المصدر السابق، ج1، ص 276.

[2] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ط1، ج1، ص 364.

[3] بدر الدين قرح، المرجع السابق، ص 28.

[4] خليل خلف الجبوري، الثروة المعدنية في الأندلس، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، ع 44، العراق، 2020م، ص191.

اختصت مدينة طليطلة أيضا بصناعة الورق الذي جاء به المسلمون، حيث أن المدينة لم تكن تعرف الورق من قبل هذا ولكن بفضل الفتوحات الإسلامية تعرفت المدينة على هذا النوع من الصناعات الجديدة الوافدة على المنطقة، التي برعت فيها كما أنها قبل اكتشاف الورق وقدومه لبلاد الأندلس كانت تتم الكتابة على جلود الحيوانات.[1]

– صناعة الجلود:

توفرت بمدينة طليطلة الثروة الحيوانية كالأغنام وغيرها، كما امتازت منطقها الجبلية أيضا على أنواع مختلفة من الحيوانات والطيور، فكان يصنع بها الأحذية، لكن هذه الصناعة لم تكن رائجة بشكل كبير لأن الحيوانات بالمدينة خاصة الخرفان والأبقار كانت تصدر إلى خارج بلاد الأندلس نظرا لجودة لحومها.[2]

لم تقتصر مدينة طليطلة على هذه الصناعات فقط بل تميزت بالعديد منها لكن ما ذكرناه كان أبرزها، ومن بين الصناعات التي لم تتلق رواجا كبيرا في المدينة نجد صناعة الخشب، حيث أن المدينة لم تكن تحتوي على مادة الخشب أو بالأحرى لم تتوفر بها الغابات الكثيفة وأيضا نجد صناعة العطور لم تشتهر بالمدينة عكس مدينة غرناطةلأن الأراضي الموجودة في مدينة طليطلة كانت مختصة لإنتاج الحبوب مثل القمح والشعير، وأيضا نجد الفواكه فقد استغلت الأراضي بها لإنتاج هذا النوع من المنتوجات الزراعية.[3]

ومن خلال ماذكرناه سابقا أن مدينة طليطلة بها سلاسل جبلية امتازت بتوفر المعادن بها، ولكن هذه الميزة لم تكن الوحيدة بل تعدى هذا فالسلاسل الجبلية عبارة عن محمية طبيعية تأوى إليها الحيوانات خاصة الأغنام والأبقار التي تميزت بالسمنة وكانت مضربا للمثل في جميع أقطار الأندلس وخارجها.

---

[1] ربوح عبد القادر، الوراقة في الأندلس مابين القرنين الرابع والسابع هجري العاشر والثالث عشر ميلادي قراءات في المداولات والشواهد، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 13، 2017م، ص 192.

[2] خالد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 190.

[3] خالد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 191.

ومن بين ما اختصت به مدينة طليطلة يذكر أن هناك قرية ليست ببعيدة عنها تسمى بمغام قيل أن بها نوع من الطين محصورة في جبالها تستعمل في تنظيف الملابس، وأيضا يغسل بها الشعر ويصدر إلى خارج بلاد الأندلس حتى أنها تصل إلى بلاد الشام ومصر.[1]

يمكننا أن نقود من خلال ما ذكرناه حول الخصائص الاقتصادية لمدينة طليطلة أنها تستحوذ على العديد من الميزات التي مكنتها من أن تكون واحدةمن أهم المدن الأندلسية، حيث أنها تحتوي على مجموعة من الخصائص الطبيعية المتمثلة في توفر الشبكة المائية التي تعتبر عاملا أساسيا في تطور النشاط الفلاحي وتنوع في الغطاء النباتي وكذلك المحصول الزراعي، ونجد أيضا المحميات الطبيعية المتمثلة في السلاسل الجبلية التي تحتوي على المعادن المختلفة التي جعلت منها مدينة صناعية، كما أنها تحتوي على تركيبة سكانية كانت عبارة عن مزيج من الأجناس والأديان ما ساعدها على أن تكون مدينة تجارية بامتياز.

كما ساهمت الثروة الحيوانية في إنعاش النشاط الاقتصادي لمدينة طليطلة وذلك عن طريق استغلال جلودها في الصناعة الجلدية كما كانت تصدر إلى خارج الأندلس خاصة إلى بلاد الشام ومصر والعراق.

[1] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ط1، ج1، ص 432.

المبحث الثالث:التركيبة السكانية لمدينة طليطلة.

شهد القرن الخامس للهجرة توترا سياسيا أثر سلبا على الحياة الاجتماعية فظهرت لنا مدينة طليطلة بمجتمعها المتباين، حيث ذكر من قبل العديد من المؤرخين أن مدينة طليطلة عاصمة الديانات الثلاثة: الإسلام، النصرانية، اليهودية.

أما فيما يخص العناصر المكونة بالمجتمع الأندلسي فقد كانت مزيج مختلط من العناصر البشرية ونبدأ بالمسلمين:

أولا: العرب

هم أقوام نزحوا من جزيرة العرب على شكل دفعات إبان الفتوحات الإسلامية[1]، بحيث ذكرت لنا العديد من المصادر المختصة أن العناصر العربية التي دخلت الأندلس منذ الفتح الإسلامي كانت مع موسى بن النصير والتي بلغت حوالي ثمانية عشر ألف مقاتل من القيسية واليمنية[2]، ثم تلتها طالعة بلج بن بشير القشيري وكانت قوامها حوالي ثمانية آلاف من العرب أغلبهم من القيسية.

كما استقطبت بلاد الأندلس نسبة عالية من العرب الفاتحين العدنانيين والقحطانين فلا نجد أي مدينة من المدن إلا وبها العرب، وهذا ما نلاحظه من خلال تصفح المصادر التاريخية فيذكر لنا ابن غالب برواية المقري: "أما المنتسبون إلى عموم الكنانة فكثيرهم أو جلهم في طليطلة ".[3]

سجل لنا العديد من المؤرخين أماكن استقرار العرب بالأندلس بصفة عامة، فوجدنا بذلك أن العرب كانوا يفضلون البسائط أي الأماكن المخفضة والدافئة التي تكون بها كمية التساقط قليلة.

أما تواجد العرب في مدينة طليطلة فنجد فئة قليلة قد سكنت المدينة، وهذا يعود في كون أن المدينة تمتاز بتضاريس مختلفة والمتمثلة في السلاسل الجبلية وأيضا الموقع الجغرافي الذي لا يجذب العرب، لذا نجد نسبة كثافتهم السكانية في مدينة طليطلة قليلة جدا تكاد أن تنعدم.

[1] حيسن مؤنس، فجر الأندلس، دار الكتاب العربي، بيروت، ص 54.

[2] عمر بخاري، العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي، الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 8، 2015م، ص 54.

[3] ابن خلدون، المقدمة، المصدر السابق، ص 139.

ثانيا: البربر

هم سكان شمال إفريقيا أو ما يعرف ببلاد المغرب التي تمتد من حدود مصر العربية حتى ساحل المحيط الأطلسي،يعد العنصر البربري من الأقوام السابقين لدخول بلاد الأندلس بكون أن الجيش الفاتح للأندلس كان بقيادة واحد منهم وهو طارق بن زياد، كما أن معظم الجيش كان يتكون من البربر، وكانوا حوالي سبعة آلاف بربري في البداية ولكن بعدما لبثوا في بلاد الأندلس ازداد عددهم حوالي اثنا عشر ألف بربري.[1]

كان الهدف من هجرة البربر نحو بلاد الأندلس هو عملية الفتح ونشر الدين الإسلامي في المنطقة، كما لم يقتصر نزوح البربر للأندلس عبر الفتوحات الإسلامية فقط بل تواصلت الهجرات البربرية ويعود هذا السبب إلى الانتصارات المتواصلة للمسلمين، وأيضا مما شجع البربر على التدفق إلى الأندلس بغية الاستقرار في المناطق ذات الخيرات، وأيضا من الأسباب الكاملة وراء هذه الهجرة المستمرة للبربر نحو الأندلس[2]:

- رغبة البربر في الجهاد ونشر الدين الإسلامي.
- الثروات المختلفة لبلاد الأندلس.
- قرب بلاد الأندلس من بلاد المغرب مما يسهل عملية التنقل منها وإليها.

كما ذكر أن للبربر بيوتات ببلاد الأندلس منهم بنو ديلم الفقهاء، بنو إلياس وبنو واسوس وغيرهم من البربر، بحيث شكل العنصر البربري كيانات سياسية وامتهنوا العديد من الحرف والنشاطات من بينها النشاط الفلاحي، ولا ننسى أن البربر من أبرز العناصر الوافدة لبلاد الأندلس منذ فتحها إلى غاية سقوطها، كما يمكننا أن نقسم دخول البربر للأندلس إلى ثلاثة فئات:

[1] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، دار الفكر للنشر، بيروت، ص ص 22-23.

[2] خميس بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف (400-479هـ/1009-1086م)، السنة الجامعية 2007-2008م، ص ص 43-44.

الفئة الأولى:

دخلت هذه الفئة مع الفتح الإسلامي للأندلس وبدأت بالاندماج شيئا فشيئا مع المجتمع الأندلسي كما ساهموا في تطوره وإزدهراه، بكون أن العنصر البربري كان يتميز بكثرة عدده.

الفئة الثانية:

أما هذه الفئة هي الفئة التي استقدمهم الحاجب المنصور بن أبي عامر وأصبحوا عماد جيشه وقد كان لهم أثر كبير في الجهات إلا أنهم اندمجوا في المجتمع الأندلسي ولكنهم ظلوا محافظين على لغتهم وزيهم البربري.[1]

الفئة الثالثة:

كانوا مع بربر صنهاجة الملثمين اللذين تم استدعائهم من قبل أهل الأندلس للوقوف معهم ضد أطماع الصليبيين.[2]

استوطن البربر ببلاد الأندلس في المناطق الشمالية بكثرة وهذا بعدما أقام موسى بن النصير جدارا دفاعيا ليحمي به الثغور من الاعتداءات النصرانية.

أما فيما يخص تواجد البربر في مدينة طليطلة فقد ذكر لنا الأصطخري بعض أسماء القبائل البربرية التي استقرت بمدينة طليطلة فقال: "كتامة وزناتة ومصمودة...وصنهاجة..ونفازة ومكناسة..وهوارة"[3]، أما إبن حزم الأندلسي ومن خلال كتابه جمهرة أنساب العرب فقد عدد اسم ومكان كل قبيلة وأعلامها في طليطلة فقال: فتظهر زناتة ومنها: "بنو عزون، الأمراء بشنت ياقوت[4]فتظهر قبيلة هوتة ومنها:

[1] عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين والمستهل الموحدين ف عصر ملوك الطوائف الثاني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م، ص ص: 260-261.

[2] خميس بولعراس، المرجع السابق، ص 44.

[3] الأصطخري، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبدالله الحيني، د ط، ص 36.بتصرف

[4] ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان-، 1418هـ-1988م، ص 499.

"بنو فرج من واد الحجارة"[1]، أن قبيلة هوارة فمنها: "بنو ذي النون أمراء إقليش ووبذة"[2]، وقبيلة مصمودة منهم: "بنو سالم الذي تنسب إليهم مدينة سالم".[3]

ومن خلال ما ذكر يمكننا أن نستخلص أن كتلة كبيرة من القبائل البربرية استطونت مدينة طليطلة وأحوازها، هذا ما جعل مقاليد الحكم في أيدي البربر وليس العرب، وأكدت لنا العديد من الكتابات التاريخية المختصة أن أمراء بني أمية وخلفائهم في الأندلس جعلوا من البربر قادة على الثغور.[4]

وللحديث عن العصبية البربرية التي ساهمت بشكل كبير وواسع في فتح الأندلس عامة ومدينة طليطلة خاصة وتعيين البربر قادة على الثغور، يذكر لنا ابن خلدون من خلال مقدمتهالعصبية البربرية ومساهمتها في تمكن البربر الوصول إلى مقاليد الحكم فيقول لنا: "إن كانت فيه بيوتات مفترقة وعصبيات متعددة فلابد من عصبية تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جمع العصبيات فيها وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى".[5]

ومن خلال هذه المقولة لابن خلدون نستخلص العصبية البربرية ساهمت بشكل كبير من تقرب البربر إلى الحكام والسلاطين خاصة في فترة حكم الدولة العامرية، حيث أعطى الحاجب المنصور المناصب العليا في الجيش واعتماده بشكل واسع على العنصر البربري، وهذا يعود إلى البنية الجسدية للبربري وقدرته التحملية وصلابته ومقاومته وأيضا شدة تحمله للصعوبات، كما أن طبيعة البيئة التي كان يعيش فيها ساهمت في بناءه ولا ننسى أيضا عقلية الإنسان البربري المقاومة والرافضة للسيطرة، هذا ما مكن البربر من تولي المناصب العسكرية على عكس العرب.

---

[1] ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص 500.

[2] حسين مؤنس، موسوعة تاريخ الأندلس (تاريخ وفكر وحضارة وتراث)، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م، ص 383.

[3] ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، ص 500.

[4] نفسه، ص 501.

[5] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 139.

ثالثا: المولدون

كان المولدون من طبقات اجتماعية شتى قبل دخولهم للإسلام، فكان منهم العبيد والرقيق وأهل المدن بشتى صنفوهم الأشراف والأواسط بين المولدون والمسلمين الداخلين، وحدثت حركت اختلاط بشرية واسعة المدى بين عناصر سكان أهل الجزيرة الأندلسية كما أن نجد المولدون لم يفقدوا شخصيتهم الخاصة.[1]

يطلق مصطلح المولدين عادة على السكان المنحدرين من الأصول الإسبانية ممن اعتنقوا الإسلام وولدوا من أب مسلم فنشأوا على الديانة الإسلامية وكانوا على عهد بني أمية، كما ترجع أصولهم إلى الروم والقشتاليين والأرجوانيين واليهود الذين استقروا في الأندلس قبل فتحها، وعند النظر لأسماء المولدين نجد أن أغلبهم اتخذ لنفسه أسماء عربية وادعى نسب المشرقي، كما أنهم تمكنوا من تأسيس إمارة في عصر ملوك الطوائف.[2]

شن المولدون العديد من الثورات في فترة حكم بني أمية مستغلين ضعفهم في زمن حكم الأمير عبدالله فثاروا عليه في عدة نواحي من الأندلس ضد السلطة المركزية، ومن أخطر ثوراتهم نجد ثورة عمر بن جعضون وثورة عبد الرحمان بن مروان، كما ثار يحي بن بكر بن ردلف بأشقونة.[3]

أما فيما يخص تواجد المولدين في مدينة طليطلة كانت هذه الأخيرة من بين أهم المراكز العصبية المولدة وكانت مكانا لدعوة المولدين[4]، فكانوا يتعصبون لأصولهم الإسبانية في زمن الإمارة وجزء من الخلافة، ولكن تم التمازج بين تلك العناصر في القرن الخامس الهجري والحادي عشر ميلادي.[5]

---

[1] حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 465.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش، التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، ص 43.

[3] حسين يوسف دويدار، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، ص 44 .

[4] عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1999م، ص 129.

[5] خلاف محمد عبد الوهاب، قرطبة الإسلامية، الدار التونسية للنشر، تونس، ص 235.

رابعا: أهل الذمة

لغة :يعرف أهل الذمة في اللغة الأهل، القرابة والعشيرة، وأهل المذهب المدينين به، وأهل الأمر وولاته[1]، أن كلمة الذمة فتعني الحق والحرمة[2]، فهي من الذمام والمذمة، وجمعها أذمة والذمة: العهد والكفالة، وجمعها ذمام، فرجل ذمي أي له عهد وفلان له ذمة أي: له حق، قال الزبيدي في هذا المقال: "الذمام كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة".[3]

وفي تنزيل العزيز قوله تعالى: "لَا يَرْقَبُون فِي مُؤْمِنٍ إِلاً وَلَا ذِمَّة"[4]، إلاَّ ل الحلف والذمة هنا تعني العهد، ومن معاني الذمة الضمان والأمان والكفالة، ففي الحديث النبوي الشريف يقول المصطفى –عليه الصلاة والسلام–: "تَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ"، وتفسيره الأمان، والذمامة.[5]

أما في الإصطلاح: أهل الذمة هم أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، ومن اتخذ كتابا سماويا كالسامرة[6] والصائبة[7]، كما يلحق بأهل الذمة المجوس.[8]

---

[1] ابن منظور، لسان العربّ، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، مج 1، ج1، دار المعارف، القاهرة، ص 164.

[2] ابن منظور، المصدر نفسه، مج3، ج17، ص 1517.

[3] الزبيدي مرتضى الحسيني محمد، تاج العروس في جواهر القاموس، مر: أحمد مختار عمر، ج32، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000م، ص 205.

[4] سورة التوبة: الآية 10.

[5] ابن المنظور، المصدر السابق، مج3، ج17، ص ص15-16.

[6] السامرة: قوم يسكنون جبال بيت المقدس وقرايا من أعمال مصر أثبتوا نبوة موسى و بنو نون عليهم السلام، وأنكروا نبوة من بعدهم من الأنبياء إلا نبيا واحدا يأتي بعد موسى يصدق ما بين يديه من التورات، وهي فرقة منشقة عن اليهود فالتورات الذي بين أيديهم غير تورات اليهود ولا حتى اللغة وقبلتهم غير قبلة اليهود بجبل كزريم يقع بين بيت المقدس ونابلس. أنظر: الشهرستاني، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنة، علي حسن قاعور، ج1، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ-1993م، ص ص 261-260.

[7] الصابئة في لغة من صبأ الرجل إذا مال وزاغ، ولكن من مال وزاغ عن سنن الحق ومنهج الأنبياء قيل لهم الصائبة. أنظر: الشهرستاني، المصدر نفسه، ج2، ص 307.

[8] المجوس : قوم يعظمون الأنوار والنيران ويدعون نبوة زراديشت وهم فرق شتى لهم كتاب يسمى (رندأ وستأ)، إدعوا أنه منزل من عند الله. أنظر: الشهرستاني المصدر نفسه، ج1، ص ص 278-279.

يطلق لفظ أهل الذمة على الرعايا غير المسلمين والذين يعيشون في كنف الدولة الإسلامية[1] حيث يعطون الجزية مقابل حمايتهم، وكما سبق وذكرنا أن أهل الذمة هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، بحيث يعتبر اليهود من بين أهم الطوائف الرئيسية في المجتمع الأندلسي قبل وبعد الفتح الإسلامي للمنطقة، حيث كانوا يتواجدون في كل أنحاء بلاد الأندلس، فنجد أن اليهود كانوا منبوذين من قبل السكان الأصليين للأندلس، بحيث كان يمنع مخالطة اليهود ومصاهرتهم والتعامل معهم.[2]

عانى اليهود من الاضطهاد من قبل الطوائف المتواجدة في الأندلس[3] إلا أن حل المسلمون ببلاد الأندلس[4]، فبوجودهم زال مشكل الاضطهاد، كما استمتع اليهود بحرياتهم الدينية والمعاملة التي منحت لهم من قبل المسلمين، ويعود هذا التعامل الحسن لليهود من قبل المسلمين عبارة عن رد للجميل أثناء عملية الفتح ومساندة اليهود للمسلمين.

لامس اليهود التسامح واللين من قبل المسلمين ومشاركتهم بجميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية، كما وكلت لهم مهمة حماية المدينة من قبل موسى بن نصير.[5]

برع اليهود في العديد من النشاطات الاقتصادية على رأسها التجارة، كما قاموا بعملية ترجمة الكتب العربية إلى العبرية واللاتينية.[6]

أما فيما يخص تواجد اليهود في مدينة طليطلة فقد ذكر أن عددا قليلا من اليهود سكنوا بها كانوا من التجار، وهذا ما يفسر لنا أن مدينة طليطلة كانت مدينة تجارية.

---

[1] سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص 129 .

[2] حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 411.

[3] سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص 130.

[4] نفسه، ص129.

[5] سالم عبد العزيز، المرجع السابق، ص129.

[6] علي أحمد، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، السنة الخامسة، ع 17، محرم 1418هـ-1997م، ص 59.

أما فيما يخص النصارى فقد ظلوا يمارسون شعائرهم الدينية وقرع النواقيس والقيام بالاحتفالات الخاصة بهم، أي بقي وضع النصارى على حاله وذلك منذ الفتح الإسلامي.

تقلد النصارى العديد من الوظائف المختلفة من أهمها عملية الترجمة، بحيث أصبحت مدينة طليطلة مدينة المترجمين وواحدة من أبرز مراكز الإشعاع الثقافي التي استفادت منه بشكل كبير أوروبا.[1]

لم ينس النصارى أبدا أن مدينة طليطلة عاصمتهم الدينية فقد كانوا يحافظون على شعائرهم متأملين استرجاع موطنهم من أيدي المسلمين ويتجلى ذلك من خلال الحملات المتكررة على مدينة طليطلة، وهذا ماذكره لنا ابن عذارة المراكشي: "...فإنما نطلب بلدنا التي غلبتمونا عليها قديما في أول أمركم، فقد سكنتموها ما قضى لكم وقد نصرنا الآن عليكم برداءتكم فارحلوا إلى عدوتكم واتركوا لنا بلدنا...".[2]

ونفسر هذه المقولة لابن عذارى المراكشي أن النصارى لم يتقبلوا فكرة تواجد المسلمين في بلاد الأندلس عامة ومدينة طليطلة خاصة، لأن هذه الأخيرة تعد مدينتهم الروحية ومركز ديانتهم ومقر كنائسهم، لذا شن النصارى العديد من الحملات الصليبية لطرد المسلمين من الأندلس بشكل عام.

خامسا: الصقالبة.

يقصد بالصقالبة هم سكان المناطق الشمالية في إسبانيا، فقد ذكر إبن حوقل الذي زار بلاد الأندلس أن الصقالبة كانوا يجلبون من سواحل البحر الأسود وإيطاليا.[3]

كما يعرفون أيضا بالفتيان والخلفاء والخرس والخصيان والمجاذيب وهي تتردد في المصادر التاريخية الأندلسية، أما تسميتهم بالخرس فلأنهم لم يكونوا يجيدون لغة البلاد وكانوا في بداية الأمر أشبه بالخرس وسموا أيضا بأرسطقراطية العبيد.[4]

---

[1] بوتشيش إبراهيم القادري، المرجع السابق، ط1، ص 92.

[2] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ليفي بروفينسال، ج2، دار الثقافة، بيروت، ص 282.

[3] حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 51.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 218.

وقد أطلق الجغرافيون العرب هذا الاسم في العصور الوسطى من السكان المتقابلة لبحر الخزرجين بين القسطنطينية وبلاد البلغار[1]، وذكر بعض المؤرخين أجناسا مختلفة للصقالبة الذين أتوا من القسم الشرقي في أوروبا[2] وأيضا من الروس.

استخدموا في الحرس والجيش وإخماد الثورات في حروبهم ضد النصارى حتى أن بعضهم ارتقوا إلى مصاف القادة العسكرية خاصة في عهد الحكم بن هشام الأول،[3] الذي اتخذ منهم حرسا خاصا وازداد عددهم في فترة حكم عبد الرحمان الناصر كما ازداد عددهمووصلوا إلى المناصب الهامة في إدارة الجيش في هذه الفترة من حكم عبد الرحمان الناصر، مثل نجدة الصقلي، قائد الجيش وصاحب الشرطة، وأفلح صاحب الخيل، وقند حاكم طليطلة سنة 336هـ.[4]

لم يستخدم الصقالبة في خدمة البلاطات فحسب بل كان منهم بعض العلماء الأعلام، باعتبار أن الصقالبة من بين أهم العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي الذين أصبحوا محورا هاما للحركة الأدبية.[5] تعلم الصقالبة اللغة العربية ومختلف الفنون والفروسية كما كانوا يتلقون التربية التثقيفية لأنهم كانوا يربون منذ طفولتهم في قصور الحكام، وبحكم مكانتهم الاجتماعية اهتموا أيضا بمظهرهم الخارجي فقد كانوا يلبسون أحسن الملابس[6]، كما كان للمرأة الصقلبية دورا هاما في المجتمع الأندلسي فكانت منها المغنية والأدبية والخادمة.[7]

[1] خميس بولعراس، المرجع السابق، ص ص 43-44.

[2] نفسه، ص 47.

[3] نفسه، ص 49.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش، المرجع السابق، ص 259.

[5] خميس بولعراس، المرجع السابق، ص 48.

[6] حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 54.

[7] بودشيش ابراهيم القادري، المرجع السابق، ط1، ص 98.

أشتهر الصقالة بالشدة والمراس والحروب، فقد قيل أن من أراد العبيد لحفظ النفوس والموالي فالهند، ومن أرادهم للكد والخدمة فالزنج، ومن أرادهم للحرب والشجاعة فالترك والصقالبة.[1]

أما فيما يخص تواجد الصقالبة بمدينة طليطلة فقد وجدوا بنسبة كبيرة في خدمة البلاطات والقصور، كما كان الصقالبة في مدينة طليطلة يشغلون المناصب العليا خاصة العسكرية[2]، ومنهم "قند" الذي حكم مدينة طليطلة سنة 336 للهجرة، وتزامن حكم هذا القائد العسكري فترة تولي عبد الرحمان الناصر للسلطة فقد عين من قبله، بأنه رأى به الشدة والصلابة كما عرف هذا القائد بالبداهة والحكمة.

[1] لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفينسال، ط2، دار المكشوف للنشر، بيروت، 1965م، ص ص 40-41.

[2] حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 52.

الفصل الثاني: التاريخ السياسي لمدينة طليطلة منذ الفتح إلى غاية انهيار الخلافة الأموية (92–422هـ.711–928م)

المبحث الأول: طليطلة في عهد الولاة (92–138هـ/ 711–755م)

المبحث الثاني: طليطلة في عهد الإمارة (138–316هـ/755–928م)

المبحث الثالث: طليطلة في عهد الخلافة (316– 422هـ/ 928 – 1030م)

المبحث الأول: طليطلة في عهد الولاة (92-138هـ.711-755م)

في الفترة التي كانت فيه شبه الجزيرة الايبيرية تعج بالخلافات والصراعات وعدم الاستقرار نتيجة فساد السلطة الحاكمة والنظام[1]، كان القائد موسى بن النصير والي إفريقية قد أتم فتح بلاد المغرب الأقصى 97هـ-517م بوصوله إلى سواحل المحيط الأطلسي، الذي لم يستعص عليه سوى سبتة[2]، وذلك لقوة حصانتها ومناعتها[3] وتبعيتها للحكم القوطي الكونت يوليان[4]، الذي سعى لإحباط كل محاولة الاستيلاء على المدينة.

تذكر المصادر التاريخية أن الحاكم يوليان عرض على موسى بن نصير دخول الأندلس وذلك بإرساله رسالة يعرض فيها تسليم معقله[5]، وكان هذا خلال الفترة التي قام فيها موسى بن نصير بشن حملات متتالية على مدينة سبتة راغبا فتح هذا الثغر، وبينما هو يترقب تحقيق ذلك[6] حتى جائته رسالة يوليان. قام الحاكم القوطي بهذه الخطوة نتيجة ما حدث بينه وبين الحاكم القوطي لذريق، حيث ذكر أن العلاقة بينهما كانت سيئة[7]، بسبب ما قيل حول حادثة اعتداء لذريق على ابنة يوليان، التي كانت ترسل إلى البلاط من أجل خدمة الحكام وكانت هذه عادة جميع ملوك الأندلس بإرسال أبناءهم إلى

[1] عبد الرحمان علي حجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (92-897هـ.711-1492م)، دار القلم، دمشق، 1981م، ص 30.

[2] سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب تقابل جزيرة الأندلس، على طريق الزقاق وهي مدينة حصينة موجودة بالمغرب الأقصى. أنظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 182.

[3] مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها-رحمهم الله-، ص 14.

[4] يوليان: من أشراف ملوك الروم وأعظمهم وذوي العقل والدهاء، حاكم سبتة كان مطيعا للذريق. أنظر: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص 286.

[5] مجهول: المصدر السابق، ص 16.

[6] محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول من الفتح، إلى بدالية عهد الناصر، ط2، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص 38.

[7] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 268.

بلاط ملكهم لكي يتعلموا الآداب وحسن المعاملة[1]، استحسن لذريق ابنة يوليان وافتضها وواقعها، فكتب إلى والدها فأغضبه ذلك[2]، ولا يعتقد أن هذا الأمر كافيا ومقنعا لفعلة يوليان، بل يمكن أن يكون هنالك أسبابا أخرى سابقة بحكم أن يوليان كان من الرافضين لطريقة لذريق في الحكم، كون أنها تعد اغتصابا من الأسرة الحاكمة ولكن ابنة يوليان كانت عبارة عن عذر مباشر للقيام بردة فعل مماثلة.

لم يتحرك موسى بن نصير إلا بعدما وثق بيوليان، حيث تم هذا الأمر في سنة 90 للهجرة[3]، وكما نلاحظ أن موسى استبطئ الأمر بعد موقف يوليان بل بقي فترة معينة يتوثق الأمر وذلك من خلال إرساليات للتحقق من كلام يوليان.

استجاب موسى لدعوة يوليان وذلك بعدما قام بإرسال السرايا الاستطلاعية، وأيضا بنصح الخليفة الوليد بن عبد الملك، بعث موسى والي طنجة طارق بن زياد لفتح الأندلس، وكان ذلك بعد سنة من حكم لذريق 92 هـ-710م[4] بمساعدة والي سبتة.

بعدما علم القوط بنزول الجيش الإسلامي قاموا بإرسال جنود قرطبة لمواجهة المسلمينشبت معركة قوية بين الجنود المسلمين والقوطيين وكانت الغلبة للجيش المسلم، وتم قتل عدد كبير من القوط.[5]

ما إن علم لذريق بما حصل من خلال ما وصله من أهل قرطبة وما جاورها، وما إن أحس بخطورة الموقف ترك ملاحقة المتمردين والثائرين ببنبلونة[1] وفر متوجها إلى طليطلة.

---

[1] ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: ابراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م، ص 34.

[2] ابن كردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صالح عبدالله الغالدي، ط1، ج1، الجامعة الإسلامية للمدينة المنورة، 2008م، ص999.

[3] مجهول، المصدر السابق، ط1، ص 16.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص ص 3-4.

[5] ابن عبد الحكم، عبد الرحمان ابن الله، فتوح مصر وأخبارها، مكتبة المثنى، بغداد، 1930م، ص ص 206-207.

جهز لذريق جيشا قوامه حوالي أرعين ألف مقاتل كانوا من خيار أعاجم الأندلس وأبناء ملوكها، حيث إلتقى طارق بن زياد ولذريق بوادي لكة[2]، من كورة شذونة[3]، يوم الأحد الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة 92هـ-711م استمر القتال لمدة ثمانية أيام، كانت الغلبة والنصر للجيش المسلم في يوم الأحد الخامس من شهر شوال[4] من نفس السنة، أما القوط فقد قتل منهم عدد كبير، واختلف في مصير ملكهم.[5]

سحق المسلمون الجيش القوطي من خلال تحطيم عماد المقاومة لدولة القوط، وفتح بذلك طريق واسع أمام المسلمين للتوغل في جميع أنحاء أراضي شبه الجزيرة الايبيرية.[6]

عرض يوليان على طارق بن زياد السير إلى طليطلة وتفريق جنوده على مدن أخرى، وهذا منيفسر لنا الحقد يوليان على حكم لذريق وليس كما زعم أنه اعتداء على ابنته، وأمام هذا الأمر قام طارق بن زياد بتوزيع جيوشه، فبعث مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك إلى قرطبة مع ومعه سبعة مائة فارس[7]، كما أرسل جيشا إلى مدن أخرى إلى البيرية، غرناطة، مالقة، وسار طارق بمعظم الجيش المكون من عرب وبربر وموالي وغيرهم إلى طليطلة، حيث جمع جنوده عبر الوادي الكبير عند منجار

[1] لكة: مدينة بالأندلس من بنيان القيصر أكتبيان، من حماة الأندلس. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ط1، ص 169.

[2] شذونة: هي كورة متصلة بكورة مرور وعمل شذونة خمسون ميلا في مثلها من الكرة المجندة، نزلها جند فلسطين من العرب. أنظر: الحميري، المصدر نفسه، ص 100.

[3] ابن الأبار، الحلة الصراع، تح: حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، بيروت، ص 333.

[4] ابن الأبار، المصدر نفسه، ص 334. وينظر أيضا: ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص8.

[5] عبد المجيد نعناعي، تاريخ الدولة الأموية في الأندلس (التاريخ السياسي)، دار النهضة العربية، ص 19.

[6] مجهول، المصدر السابق، ط1، ص 19. وينظر أيضا: ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 9.

[7] حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 78.

سالكا طريق هينغل[1]، وهو طريق معمور، وفي هذه الأثناء نجد أن كبار القوط كانوا متجهين نحو طيلطلة فرار من الجيوش المسلمة.

عند وصول مغيث إلى قرطبة سأل أحد الرعايا إلى قرطبة فأخبره برحيل عظمائها وزعمائها إلى طليطلة وأنه لم يبقى فيها سوى أربعمائة من حماتها الضعفاء.[2]

وعلى هذا فقد كان طارق على أهبى الاستعداد لفتح طليطلة ولكن بوصوله إلى المدينة وجدها شبه خالية، لم يبقى فيها إلا بعض النصارى واليهود[3] الذي يرجح أنهم ضعفاء المدينة، ويبدو أن أهل طليطلة فروا بثرواتهم وممتلكاتهم خوفا من الحرب.

بالرغم من أن موسى بن نصير لم يأمر طارق بن زياد بفتح مدينة طليطلة[4]، إلا أنه كانت أمام هذا الأخير العديد من الاحتمالات إما أن يضيع ما كسبه من انتصارات على الحاكم لذريق ويعود إلى المغرب، أو أن يواصل السير متوجهة إلى قرطبة التي لم يبقى بها سوى حوالي أربعمائة من حماتها مما سيعجل التكتل حول مدينة طليطلة ويتحصلون بها إلى أن يخرجوا منها جيش المسلمين لكن ماحدث هو توجه طارق بن زياد إلى مدينة طليطلة بعدما وضع جيشا حاصر به قرطبة ليشغل بذلك القوط، لأن بعد سقوط طليطلة ستصبح المناطق الجنوبية للأندلس محصورة بجيش المسلمين وذلك بتواجدهم بطليطلة وأيضا الساحل الغربي والجنوبي للأندلس وبها ستصبح السيطرة بيد المسلمين.

وبهذا فإن السيطرة على مدينة طليطلة هي الحل الأنسب والهدف الصائب لطارق بن زياد وبعدما سيطر طارق على مدينة طليطلة التي أصبحت مكانا ملائما لإراحة الجيش وإعادة تنظيمه وأبقى

[1] هينغل: هو ابن هيميلقار قائد قرطاجي، فينيقي الأصل من أعظم رجال الحرب. أنظر: ابن القوطية، المصدر السابق، ط2، ص 21.

[2] مجهول، المصدر السابق، ص 20.

[3] المقري، المصدر السابق، ج1، ص 248 .

[4] أبي قاسم عبد الكريم، المرجع السابق، ص 208.

بالمدينة حامية بالإضافة إلى اليهود المتواجدين بها، توجه طارق إلى ملاحقة القوط الفارين توجه بذلك إلى وادي الحجارة ثم توجه إلى مدينة المائدة التي تقع خلف جبل عبره وسمي بإسمه فيما بعد.[1]

تحصل طارق على العديدمن الغنائم والأموال[2] من مدينة أمايا، ثم توجه إلى شمال الأندلس وقيل أنه اقتحم جيليقية، فاخترقها حتى انتهى إلى مدينة استرقة، وفي هذه حل شهر أكتوبر[3]، قرر طارق العودة بجيشه قل حلول فصل الشتاء إلى طليطلة خاصة وأنه يحمل غنائم كبيرة لم يمكنه أن يواصل السير بها وأيضا إنهاك الجيش الذي خاض العديد من المعارك الحاسمة والتي عادت إليه بالنصر.

وللحديث عن الغنائم التي حصل عليها طارق التي كانت الحديث العديد من المؤرخين وبالأخص المائدة التي جاء أغلب الوصف والحديث عنها، فقيل أنها خليط من الذهب والفضة أيضا ذكر أن بها ثلاثة أطواق: طوق لؤلؤ، طوق ياقوت، وطوق زمرد، وقدرت لدى الوليد بن عبد الملك بمائة ألف دينار.[4]

قيل حول هذه المائدة **مقولتان** ، الأولى أنها مائدة سليمان بن داوود عليهما السلام، أما الثانية أنها مذبح الكنيسة في طليطلة[5]، كما اختلف الحديث عن هذه المائدة ما إن كانت تخص الكنيسة فلما لم ترسل إلى الكنيسة العظمى بروما؟ ولعظم هذه المائدة وانبهار المسلمين بها سموها بمائدة سليمان بن داوود عليهما السلام لعظم مائدته وعلمهم بها من خلال سير الأنبياء عليهما السلام.

أما فيما يخص بقاء طارق بن زياد في مدينة طليطلة لم يدر هذا الأمر من خلال المصادر ولكن لم ينتظروا وصول موسى بن نصير في تولي العديد من الأمور من بينها حفظ الغنائم، وبناء مسجد

[1] ابن القوطية، المصدر السابق، ج2، ص 22.

[2] مجهول، المصدر السابق، ص23.

[3] حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص79.

[4] المقري، المصدر السابق، ج1، ص152.

[5] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص18.

للمسلمين الذي يعد أول عمل يقوم به المسلمون بفتح أي منطقة كما تولى طارق تنظيم شؤون المدينة خاصة الأمنية.

وفي رمضان سنة 93هـ-712م عبر موسى بن نصير الأندلس حيث مر على المدن التي لم يمر بها طارق بن زياد ففتح إشبيلية ومارداة[1]، وبعدما إنتهى منأمر ماردة توجه نحو طليطية، لم يتوجه طارق إلى موسى رغم قربه منه وذلك خوفا من أن يقوم القوط بالاستيلاء على مدينة طليطلة نظرا لأهميتها وضرورة الاحتفاظ بها، حيث توجه موسى إلى طليطلة في نهاية 93هـ-712م بعدما قام بفتح عدد كبير من المدن الأندلسية كما استقبله طارق في طلبيرة[2] بموقع يسمى بابد[3]، كما يظهر لنا حول لقاء طارق بموسى لقاءا عظيما وذلك من خلال جلبه لوجوه الناس.[4]

لا يمكن أن نمر مرور الكرام حول لقاء موسى بن نصير مع طارق بن زياد، فقد أشارت المصادر المختصة حول قيام موسى بتوبيخ طارق وضربه بالسوط كما أشارت بعض المصادر إلى حلق رأسه وتعرضه لأشد أنواع العذاب، ثم عفى عنه وأرسله لفتح الثغور[5]، إلا أننا يمكننا القول أن غضب موسى لم يكن شديدا فلو كان كذلك لقام بعزله ولكن ليس كما توضحه لنا بعض المصادر، وأنه ليس بالشكل المبالغ فيه، كما أن حنكة طارق ساهمت في التقليل من غضب موسى وذلك من خلال الاستقبال الذي قام به طارق تجاه موسى، ولعل أن غضب موسى حول تهور طارق في عملية فتح طليطلة لكن هذا الأخير وأثناء مساءلته أقنع موسى بضرورة ذلك.

[1] مجهول، المصدر السابق، ص 26. وينظر أيضا: المقري، المصدر السابق، ج1، ص 253.

[2] مجهول، المصدر نفسه، ص 27.

[3] المقري، المصدر السابق، ج1، ص253.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص16.

[5] نفسه، ص 17.

بعدما التقى طارق أبن زياد مع موسى بن نصير توجه نحو طليطلة، وبدخولهما المدينة التي أصبحت القاعدة القاعدة الإسلامية الأولى في بلاد الأندلس، كما اتخذها موسى مركزا لحكم الأندلس، ومنها أرسلت بعثة إلى العاصمة الأموية تنقل خبر فتح مدينة طليطلة.[1]

بقي موسى في هذه الفترة 94هـ-713م[2] في مدينة طليطلة ينظم أمور قاعدة حكمه داخل المدينة وخارجها، حيث ضرب موسى بطليطلة أول عملة إسلامية في الأندلس، ومنها إنطلقت دعوة القوط وأهل الأندلس إلى الإسلام[3]، كما اهتم موسى بأمور المسيحيين في المدينة فأقام آية أخا غيطشة أسقفا لطليطلة[4]، واتخذ المدينة مركزا إداريا وماليا وجعلها قاعدة عسكرية.

أمر موسى طارق بن زياد بالخروج من مدينة طيلطلة تمهيدا لعملية الفتح حيث سلك موسى الطريق الذي دخله طارقبعدما أن خرج من مدينة طيلطلة متوجها نحو أرض الجيليقية[5] التي طلب أهلها الصلح والاستسلام، بعدها فتح موسى بلاد البشكنس وبلاد الإفرنج، ثم توجه بعدها إلى سرقسطة[6] شمالا ففتحها.[7]

بعد الفتوحات العديدة التي قام بها موسى بن نصير في بلاد الأندلس، دل هذا على مدى قوة الجيش الإسلامي وحنكة قائدها، فبغرار المدن التي فتحت بالقوة العسكريةنجد عدة مدن أعلنت الاستسلام دون مقاومة دلالة على خوفهم من الجيش الإسلامي.

---

[1] حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 100.

[2] عبد الرحمان علي حجي، التاريخ الأندلسي، ط5، دار القلم، دمشق، 1418هـ-1997م، ص 85.

[3] حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 101.

[4] نفسه، ص 100.

[5] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 77.

[6] سرقسطة: مدينة تقع شرق البلاد وقاعدة من قواعد الأندلس وهي لقب بالمدينة البيضاء. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ط2، ص96.

[7] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 18.

بعد أن فتحت العديد من المن الأندلسية التي قدرت حوالي ثمانية عشر مدينة[1] على يد موسى بن نصير عاد هذا الأخير بجيوشه إلى طليطلة، محملا بالغنائم والسبي التي أنعشت إقتصاد المدينة.

ومن الانجازات العظيمة التي قام بها موسى لم يمكث طويلا في مدينة طليطلة حتى جاءه أمر الخليفة الوليد بن عبد الملك يأمره بالعودة إلى العاصمة، لبى موسى أمر الخليفة وخرج من طليطلة مع طارق بن زياد ومغيث الرومي مستخلفا وراءه إبنه عبد العزيز[2]، الذي أسكنه مدينة إشبيلية وبهذا نقل موسى العاصمة من مدينة إلى مدينة إشبيلية، الأمر الذي أغضب سكان طليطلة هذا ما دفعهم إلى المعارضة والرفض في إطار معقول ومقبول.

لم ينظر موسى إلى موقع مدينة طليطلة، لكنه نظر إلى موقعها بالنسبة للبلاد الإسلامية (المغرب) وذلك بعدما نقل إلى إشبيلية مما صعب بعدها الإشراف على أطراف الأندلس، ومما سبق وذكرناه أن مدينة طليطلة تتوسط بلاد الأندلس، أي يمكن السيطرة على جميع أطراف الأندلس لو بقيت طليطلة هي العاصمة، وإن كان في هذه الفترة نقل العاصمة سليما للحاجة للقرب من المغرب الإسلاميوأيضا ثبت المسلمون أقدامهم بمدينة طليطلة كما أصبحت قاعدة عسكرية وبتغيير العاصمة افتقدت المدينة مكانتها ودورها القيادي على باقي المدن الأندلسية الذي دام فترة طويلة.

لم تذكر المصادر التاريخية حول موضوع نقل العاصمة من مدينة طليطلة بل اهتموا بمسائل أهم من ذلك خاصة مسألة التوسع في الفتوحات ونشر الدين الإسلامي وتثبيت المسلمين أقدامهم في بلاد الأندلس، ولكن رغم هذا ظلت الأمور مستقرة في مدينة طليطلة، وبسبب عدم التدوين حولها في هذه الفترة يعود إلى أنه لم يحدث أمر لافت بها.

ظهرت مدينة طليطلة في العديد من النزاعات السياسية والعرقية، خاصة بين العرب والبربر في فترة ولاية عبد الملك بن قطن الفهري القشيري الثانية 123-124هـ.771-1771م.

[1] القلقشندي، مآثر الأناقة في معالم الخلافة، تح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، 1980م، ص 138.

[2] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ط4، ج1، ص 323.

بعدما ثار البربر في بلاد الأندلس وقسموا أنفسهم إلى ثلاثة أقسام كل قسم يهاجهم مدينة وهذه المدن هي: طليطلة، قرطبة، الجزيرة الخضراء[1]، كان عدد البربر كبير جدا اجتمعوا من جيليقية ماردة، إسترقة[2]، طلبيرة.[3]

توجه عدد كبير من البربر نحو مدينة طليطلة فأقاموا عليها حصارا دام عدة أشهر، كما طلب عبد الملك بن قطن من بلج بن عياض القشيري، بأن يقدم المساعدة من نسبه وهنا يمكننا أن نرى إتحاد بين بلج وعبد الملك توجه إلى مدينة طليطلة لكن بعد أن علم البربر بذلك توجهوا نحو نهر تاجة حيث حلقوا رؤوسهم ليتم التفريق بينهم وبين العرب اقتداءا بقائدهم.[4]

التقى الجيشان بأرض طليطلة، نشبت معركة قوية بين الجيشان واقتتلوا اقتتالا شديدا، كانت الغلبة لعبد الملك ومؤيديه وانهزم البربر وقتل عدد كبير منهم وواصل العرب في إخضاع البربر في باقي المدن الأندلسية.[5]

شهدت بلاد الأندلس نزاعات وخلافات بين القبائل العربية وهما القيسية واليمنية، لم تكن مدينة طليطلة طرفا مباشرا في هذا النزاع مقارنة مع مدينتي سرقسطة وقرطبة، اللتان شاركتا بطريقة مباشرة في هذا الصراع، هذا لا يعني أن مدينة طليطلة لم يكن لها دور جازم في سرقسطة، أرسلت القيسية فارسا

[1] الجزيرة الخضراء: يقال لها جزيرة أم حكم وهي في شرق شذونة وقيل قرطبة وجنوب طليطلة ولها أقاليم عدة. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ط2، ص 73.

[2] إستقرة: مدينة شمال الأندلس، تقع غرب مدينة ليون وهي شمال طليطلة. أنظر: عبد الرحمان علي حجي، التاريخ الأندلسي، المرجع السابق، ص 33.

[3] مجهول، المصدر السابق، ص 43.

[4] حسين مؤنس، ثورات البربر في إفريقية والأندلس بين سنتي 102هـ/721م، ج1، مجلة كلية الآداب، جامعة الفؤاد، مج 10، مطبعة جامعة فؤاد الأول، 1984م، ص 200.

[5] حسين مؤنس، فجر الأندلس، المرجع السابق، ص 203.

إلى الصميل تطلب منه الصبر[1]، حدث هذا في حين وصول القيسية إلى مدينة طليطلة ويبدوا أنهم مروا على طليطلة للتزود والإعداد ولابد من أن أهل طليطلة منهم من سار مع القيسية.

بعد أن انتهى النزاع سيطر الحباب على سرقسطة وخرج الصميل منها متوجها إلى طليطلة وأقام بها بحيث كانت إقامته في بادئ الأمر في مدينة طليطلة إقامة مقيم، لكن فيما بعد تحولت إلى إقامة وال عليها، حيث أقامهم يوسف الفهري[2] قاصدا من ذلك توجيه عدة حملات عسكرية منها حيث أرسل منها حملتين عسكريتين إلى بلاد البشكنس[3] ولكنها هزمت وقبل هاتين الحملتين طلب الصميل من يوسف الفهري التوجه إلى سرقسطة لإعادة السيطرة عليها والقبض على الحباب وقد تم ذلك.[4]

وفي حال ما انتهى يوسف الفهري من هذا حتى جاءه خبر عن ولد هشام ابن عبد الملك وهو عبد الحرمان ابن معاوية من طرف ولده من قرطبة مخبرا إياه أن عبد الرحمان ابن معاوية قد عبر إلى بلاد الأندلس.[5]

بهذا يظهر لنا أن مدينة طليطلة لها دور بارز من الناحية العسكرية خاصة في الفترات الأولى من الفتح، فهي تعد القاعدة العسكرية الأولى التي توجه إليها الجيش وانطلق منها كما أنها تحولت إلى منطقة ثغر مهم بدل من كونها مدينة في أواسط الأراضي الإسلامية، وهذا بسبب ضياع الأراضي الشمالية ببلاد الأندلس من أيدي المسلمين بعد أن فتحوها.

ومما سبق يمكننا أن نقول إنه كان لمدينة طليطلة مكانة كبيرة منذ الفتح الإسلامي خاصة عصر الولاة (92-138هـ/711-755م) حيث اعتبرت العاصمة الأولى للمسلمين في الأندلس والقاعدة العسكرية الأولى لهم، كما كان لها دور كبير في الصراعات السياسية والعسكرية لمواصلة الفتح لبلاد

[1] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص31.

[2] المقري، المصدر السابق، ج4، ص 09.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 44.

[4] أحمد ابراهيم الشعراوي، الأمويين أمراء الأندلس الأوائل، دار النهضة العربية، مصر، 1969م، ص 57.

[5] ابن الأبار، المصدر السابق، ج3، ص 354. وينظر أيضا: ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 44.

الأندلس، وأنها اتخذت مركزا ماليا وإداريا للأندلس، وبهذا انتهت فترة الولاة وبدأت مرحلة جديدة ما عرفت بعصر الإمارة الأموية.

المبحث الثاني: طليطلة في عهد الإمارة (138-316هـ/755-928م)

تبدأ مرحلة عصر الإمارة الأموية في بلاد الأندلس بدخول عبد الرحمان ابن معاوية[1] الملقب بعبد الحرمان الداخل وذلك سنة 138هـ/755م، الذي يعد أول حاكم أموي بالأندلس.

ففي الفترة التي دخل فيها عبد الرحمان بن معاوية الأندلس كان آنذاك يوسف الفهري حاكما على بلاد الأندلس، الذي كان قد عاد إلى مدينة طليطلة بعد أن انتصر على خصومه اليمنية وتخلص من قادتهم في سرقسطة، فوجئ يوشف الفهري بقدوم عبد الرحمان بن معاوية وتأييده من بني أمية والقبائل اليمنية له[2]، في حين لم يبقى من مؤيدي يوسف الفهري سوى الفهرية والقيسية[3]، توجه يوسف إلى الصميل للمشاورة بخصوص عبد الرحمان بن معاوية.[4]

بدأ يوسف الفهري بمواجهة عبد الرحمان الداخل من مدينة طليطلة (الملحق رقم 03)، التي استعد يوسف منها واتجه إلى عبد الرحمان ابن معاوية، حيث إلتقى الفريقان في معركة المصارة التي انتهت بهزيمة يوسف الفهري والصميل وعودتهما إلى طليطلة.

لم يستسلم يوسف بعد معركة المصارى[5]، فقد قام بجمع جيش جديد مكون من أهل طليطلة وأنصاره من المضرية إضافة إلى مساندة ابنه عبد الرحمان إضافة إلى عدد من الجند الذي أرسله إلى

---

[1] عبد الرحمان بن معاوية: بن هشام بن عبد الملك بن مروان، ولد سنة 113هـ وتوفي 172هـ، الداخل إلى الأندلس، يقال له صقر قريش، هرب في أوائل دولة بني العباس إلى المغرب، تردد بنواحي إفريقية ثم لحق بالأندلس. أنظر: ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص ص 35-36.

[2] خثير فويدري، صراع العصبيات في الأندلس ونتائجها على مسيرة الفتح (94-238هـ/711-858م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، 2012/2011، ص 15.

[3] ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، ج4، ط1، 1981م، ص 155.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 44.

[5] المصارة: قرية في إقليم طشانة يفصل بينها نهر الوادي الكبير. أنظر: مجهول، المصدر السابق، ج1، ص 20.

والده، كما ساعده أيضا هشام بن عروة الفهري الذي كان حاكما على مدينة طليطلة مستخلفا الصميل الذي خرج لمساندة يوسف الفهري.[1]

التقى الجيشان وإنتهى الأمر بإقامة الصلح بين عبد الحرمان الداخل ويوسف الفهري وإسكان هذا الأخير قرطبة[2] من قبل الداخل، لم يقم يوسف الفهري بقرطبة طويلا وذلك بعد محاولة إبنه عبد الحرمان دخول قصر قرطبة وفرار يوسف الفهري إلى مدينة طليطلة[3]، وذلك بعد رفض الصميل والقيسية مساعدة يوسف من الخروج على يد عبد الحرمان الداخل، حيث وجد بيوسف التأييد من البلديين من ماردة وطليطلة وذلك بعد مراسلتهم.[4]

خرج يوسف الفهري من قرطبة سنة 141هـ/758م متوجها إلى ماردة وذلك لما له من موالين هناك، ويشار أيضا أنه توجه إلى طليطلة[5]، اجتمع حول يوسف الفهري حوالي 20 ألفا من البربر[6]، ويعود الفضل إلى هشام بن عروة الذي جمع له هذا العدد من الجند وإبقائه في مدينة طليطلة في حين أن عبد الحرمان الداخل بعد هذا سجن الصميل وابن يوسف الفهري وقيام الداخل بقتل عدد كبير ممن أعطوا الولاية ليوسف الفهري[7]، وفر يوسف من سجن قرطبة مارا على بعض المدن متجها نحو طليطلة[8]، حيث أنه لم يتوجه مباشرة نحو المدينة خوفا منّ أن يسبق إليها ومن ثم يقبض عليه بالمدينة لأنها كانت هدف توجهه.

---

[1] مجهول، المصدر السابق، ج1، ص 84.

[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ط1، ص 121.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ط2، ص 90.

[4] مجهول، المصدر السابق، ج1، ص 88. وينظر أيضا: ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 49.

[5] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج2، ص 49.

[6] المقري، المصدر السابق، ج1، ص 308. وينظر أيضا: ابن عذارى، المصدر نفسه، ص 49.

[7] مجهول، المصدر السابق، ج1، ص ص 88-89.

[8] نفسه، ج1، ص 91.

لقي يوسف الفهري مصرعه في إحدى القرى التابعة لمدينة طليطلة وكان ذلك شهر رجب من سنة 142 للهجرة[1]، ويقال قتله عبد الله بن عمر الأنصاري.

حال وصول رأس يوسف الفهري إلى قرطبة أمر عبد الرحمان الداخل بقتل ابنه عبد الرحمان ونصب رأسه مع رأس أبيه على جسر قرطبة[2] مع الإبقاء على أبي الأسود بن يوسف الفهري[3]، ففي مقتل يوسف الفهري تقر بعض المصادر أن قاتله هو البربري ميمون بن سعد مولى الوليد بن عبد الملك[4]، في حين نجد أن بعض المصادر الأخرى تجزم أن قاتل يوسف الفهري هو عبد الله بن عمر الأنصاري.[5]

بعد مقتل يوسف الفهري أصبح عبد الحرمان الداخل أمير الأندلس، لكن مدينة طليطلة سرعان ما عادت لاستقبال الخارجين على حكم الداخل، وذلك بفرار أبو الأسود محمد بن يوسف الفهري من سجنه بقرطبة متجها نحو مدينة طليطلة محتضنا بها[6]، لكن عبد الرحمان الداخل لم يترك له الأمر وذلك بإرساله جيشا بقيادة تمام بن علقمة الذي كان له دور كبير في إخماد الثوار بمدينة طليطلة، في حين يعد تمام من كبار قواد الأمير عد الرحمان بن معاوية.

وفي شهر ذي الحجة من سنة 142هـ/720م قامت تمام بمحاصرة مدينة طليطلة والقبض على أبي الأسود[7] مستوليا بذلك على مدينة طليطلة، بعدها مباشرة خرج هشام بن عروة الفهري سنة

[1] المقري، المصدر السابق، ج4، ص 34. وينظر أيضا: ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 50.

[2] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ط1، ص 155. وينظر أيضا: مجهول، المصدر السابق، ج1، ص 92.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 49.

[4] ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، نشره وصححه السيد عزة العطار الحسيري، مطبعة السعادة، مصر، 1375هـ/1900م، ص 315.

[5] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ط1، ص 156.

[6] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 50.

[7] حمدي عبد المنعم حسين، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1408هـ/1988م، ص 24.

144هـ/721م[1] على حكم عبد الحرمان الداخل بمدينة طليطلة، علم هشام جميع نواحي القوة والضعف لعبد الرحمان الداخل، وذلك لعدم مواجهته في معركة مباشرة خوفا من الخسارة، وبهذا دامت ثورة هشام فترة أطول ويعود سبب هذا أيضا إلى حصانة مدينة طليطلة الطبيعية ومساندة أهلها لهشام، كما تواجد عدد كبير من الفهريين.[2]

يعد طول فترة الصراع بين هشام بن عروة الفهري وعبد الحرمان الداخل حيث قام هذا الأخير بحصار مدينة طليطلة الذي انتهى بالصلح وتسليم هشام ابنه الأفلح للأمير الأموي[3]، بعد هذا الصلح أبقى الداخل هشام واليا على مدينة طليطلة والمرجح أن عبد الرحمان طلب رهان مقابل قبوله لعرض هشام وكان الأفلح هو الرهان.

لم يخلص هشام بن عروة لعبد الحرمان الداخل حيث نكث الصلح سنة 145 هـ/ 762م، مما اضطر بعدها الداخل إلى حصار مدينة طليطلة مصطحبا معه أفلح بن هشام بن عروة الفهري كرهينة، قضى الداخل على ثورة هشام منصبا بعدها مجانيق على مدينة طليطلة.[4]

لم تجد نفعا المجانيق التي نصبت على مدينة طليطلة بإخماد الثورات، حيث قام عبد الرحمان الداخل بعد حصار طويل على مدينة طليطلة بقذف رأس أفلح بن هشام بعد فصل رأسه عن جسده إلى داخل مدينة طليطلة.

بعد هذه الحادثة مباشرة خرج العلاء بن مغيث اليحصبي بإباحة دعوة الدولة العباسية بالأندلس[5]، قام الداخل بإنهاء ثورة العلاء راجعا إلى مدينة طليطلة حيث أرسل جيشا إلى المدينة بقيادة تمام بن علقمة

[1] إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا، ط3، دار النهضة العربية، بيروت، 1406هـ/1986م، ص 184.

[2] عبد المجيد نعنعي، الإسلام في طليطلة، دار النهضة العربية، بيروت، ص 26.

[3] مجهول، المصدر السابق، ج1، ص 92.

[4] نفسه، ص 93.

[5] السيد عبد العزيز سالم، تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، لبنان، 1962م، ص 197.

187هـ/764م[1]، أصر عبد الرحمان الداخل إلى إعادة مدينة طليطلة لتبعية الإمارة الأموية، فقام بإرسال كل ستة أشهر إمدادات ومساعدات، وهذا يدل على طول حصار طليطلة، الأمر الذي أدى إلى سوء الأحوال داخل مدينة طليطلة وذلك بقطع دخول المؤن إليها الأمر الذي دفع أهل طليطلة إلى إبرام اتفاق مع القائد تمام الذي نص على تسليم رؤوس الثائرين بمقابل رفع الحصار على المدينة.

بعدما اتفق أهل مدينة طليطلة مع مولى الأمير عبد الرحمان الداخل وقائد جيشه تمام بن علقمة بتسليم رؤوس الثوار منقابل فك الحصار عن المدينة، سلم هشام بن عروة الفهري ومساعديه حيوة بن الوليد اليحصبي وعثمان ابن حمزة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما[2]، حيث تم هذا الأمر بمساعدة أهالي طليطلة، توجه تمام برؤوس الثوار إلى قرطبة مستخلفا وراءه بدر على مدينة طليطلة وعندما بلغ نصف طريقه إلتقى مع رسول الأمير عبد الرحمان الداخل عاصم بن مسلم الثقفي، حيث أبلغه بأن يعود إلى مدينة طليطلة كوالي عليها[3] وتسليم رؤوس الثوار إلى بدر لكي يوصلهم إلى قرطبة.[4]

دونت أغلب المصادر أن ثورة هشام بن عروة الفهري إنتهت حوالي سنة 147هـ/764م[5]لكن بعض المصادر الاخرى تذكر بأن إرسال بدر وتمام لرؤوس الثوار كان سنة 149هـ/766م[6] فمن الأرجح أن هذه السنة يقصد بها نهاية الحصار على مدينة طليطلة، ويمكن من خلل هذا أن يكون الحصار على مدينة طليطلة كان في بداية 149هـ/766م وسقوط الثائرين على مدينة طلييطلة عام

[1] ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج1، ص 143.

[2] مجهول، المصدر السابق، ج1، ص 95.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 53.

[4] مجهول، المصدر السابق، ج1، ص 96.

[5] خالد الصوفي، تاريخ المغرب في الأندلس، ج2، ط2، منشورات جامعة قاربونس، كلية الآداب، 1980، ص 77.

[6] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ط1، ص 122.

149هـ/766م بعد القضاء على الثورة بالمدينة تم إرسال مراسلات لباقي المدن بفتح مدينة طليطلة.[1]

بعد أن رجع ميمنا نحو العاصمة لم يترك الأمير عبد الرحمان الداخل العاصمة خوفا من ضياعها، فقد عين الحبيب بن عبد الملك بن عمر بن عبد الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة 151هـ/768م[2]، وهو من الأسرة الأموية صاحب مكانة لدى الأمير الداخل وذو صفات قيادية.

نُصب الحبيب بن عبد الملك واليا على مدينة طليطلة ففي هذه الفترة ظهرت ثورة البربري شقي بن عبد الواحد شرق الأندلس الذي سكنه بشنترية[3]، خلال هذه الثورة أظهر والي طليطلة قدراته الحربية ومكانته السياسية، كُلف الحبيب بالقضاء على ثورة شقيا البربري[4] من قبل الأمير عبد الرحمان بن معاوية، كما أقام الحبيب سليمان بن عثمان بن مروان من سلالة عثمان بن عفان رضي الله عنه بشنترية والذي أمره بالقضاء على شقيا.

تمتع الحبيب بن عبد الملك بقدرات عالية مكنته من القضاء على الثائر الجديد على مدينة طليطلة وهو السُلمي سنة 162هـ/778-779م من قرطبة، حيث كان السُلمي أحد خواص الأمير الداخل والمقربين له، ذكرت قصته من خلال بعض المصادر التاريخية لكن لم يروى منها الكثير سوى مصدران فقط، قيل أن سبب خروجه عن الأمير الداخل أنه في إحدى الليالي خارج قرطبة شرب السلمي وأثناء عودته حدث اشتباك بينه وبين حرس القنطرة أراد أن يفتح الباب وهو في حالة سكر[5]، ولكن

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 53.

[2] خالد الصوفي، المرجع السابق، ج2، ط2، ص 77.

[3] شنترية: مدينة متصلة بأحواز مدينة سالم ببلاد الأندلس، وهي مدينة كبيرة تقع شمال طليطلة. أنظر: يقوت الحموي، المصدر السابق، مج 3، ص 416.

[4] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ط1، ص 123.

[5] مجهول، المصدر السابق، ج1، ص 101.

عندما أفاق وعلم بروعة ما فعله فر إلى طليطلة خوفا من ردة فعل الأمير عبد الرحمان الداخل وسرعان ما تحول السلمي من هارب إلى قائد ثورة.

وجد السلمي دعما داخل مدينة طليطلة وتشجيعا كبيرا ضد الحكومة المركزية وضدالأمير عبد الرحمان الداخل، ما جعله يثور ويخرج ضد الأمير ومنها بدأت ثورة السُلمي.

عندما سمع عبد الرحمان الداخل بخروج السلمي عن طاعته عجل بإرسال جيش للقضاء عليه وعلى ثورته قبل أن يسيطر على مدينة طليطلة، حيث كلف الحبيب بن عبد الملك حاكم طليطلة بمهمة القضاء على السُلمي، وعلى ما يبدوا أن الحبيب بن عبد الملك لم يكن متواجدا أثناء دخول السلمي إلى المدينة، قدم الحبيب بجيشه وحاصر السلمي بمكان ما بمدينة طليطلة[1] وأثناء الحصار طلب السلمي المبارزة، فبرز إليه عبد الأسود وأثناء المبارزة ضرب كل من عبد الأسود والسلمي الآخر ضربة أدت إلى سقوطهما صريعين في آن واحد.[2]

بمقتل السلمي انتهت ثورته التي لم تدم طويلا، ومن أسباب نشوء هذه الثورة هو توالي الثورات في مدينة طليطلة وأيضا لتواجد المعارضين لحكومة الأمير عبد الرحمان بن معاوية والمؤيدين لجل الثورات القائمة ضد الأمير، هذا ما مهد الطريق للسلمي في بروز ثورته.

وبالقضاء على هذه الثورة عم الهدوء بمدينة طليطلة لعدة سنوات فقط، إلى أن ظهر الثائر السابق أبا الأسود محمد الفهري، الذي خطط لهذه الثورة أثناء إقامته في سجن قرطبة مشتاقا لأيام الفهريين وحروبهم ضد الداخل.

[1] نفسه، ص 102.

[2] نفسه، ص 103.

أثناء سجن أبي الأسود محمد الفهري إدعى العمى إلى أن وشي به، بحيث يقوم السجناء عادة بقضاء حوائجهم مع حراس السجن، أما أبو الأسود الذي إدعى العمى فقد كان يخرج لقضاء حاجته مع ولي له يدعى مفرج[1]، أخبره أبو الأسود بكذبته بعد أن وثق به.

فر أبو الأسود من السجن سباحة وعلى غفلة من حراس السجن إلى أن بلغ الضفة الثانية من النهر إذ وجد أتباعه في انتظاره[2]، اتجه أبو الأسود إلى مدينة طليطلة أواخر سنة 168هـ/785م[3]، تميز أبو الأسود بفطنته وذكائه حيث استمال الناس إليه وجمع حوله الحشود، لم ينتظر الداخل وصول أبو الأسود إليه بل توجه لمقاتلته في منطقة تدعى جيان.[4]

حدثت معركة كبيرة بين الطرفان، وانتهت بمقتل عدد كبير من أعوان أبي الأسود وهلاك أغلبهم[5]، حيث جرت أحداث هذه المعركة حوالي سنة 169هـ/785م، بعد انهزام أبي الأسود فر إلى قورية[6]، لم تنته ثورة أبي الأسود بفراره بل جهز الداخل جيشا كاملا واتجه إلى قورية للقضاء عليه وعندما علم أبو الأسود بقدوم جيش الداخل نجى بنفسه وتم القبض على أعوانه، حيث اتجه أبو الأسود نحو ركانة وهي من أعمال طليطلة فكانت وفاته بها.[7]

وكما يبدو لنا أن مدينة طليطلة أصبحت مكانا وراثيا لقيام ثورات الفهريين، حيث خلف أبو الأسود أخوه القاسم بن يوسف في جميع أموره حتى أنه تزوج أرملة أخيه المتوفى، وتعد ثورة القاسم آخر

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 50.

[2] ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، ص 351. وينظر أيضا : ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 50.

[3] المقريزي، كتاب المقفى الكبير، ج4، تح: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م، ص 108.

[4] ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، ص 351.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 57.

[6] نفسه، ص 58.

[7] ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، ص 353.

الثورات في مدينة طليطلة إبان حكم الأمير الداخل، سوى ثورة واحدة لم تذكر كثيرا وهي ثورة عثمان ابن حمزة ولد عمر بن الخطاب وبقال أنها دامت 8 أعوام[1]، ولكن هذه المقولة غير مؤكدة لأن عثمان ابن حمزة قتل وصلب في قرطبة عام 147هـ/764م.

خلف عبد الرحمان الداخل بعد وفاته ابنه هشام الذي كان واليا على ماردة، كما أمر الداخل ابنه عبد الله بتسليم مقاليد الحكم لأخيه هشام حال وصوله[2]، لم يكن هشام هو الابن الأكبر لعبد الرحمان بل كان سليمان والي مدينة طليطلة.[3]

لما وصل هشام إلى قرطبة وتمت مبايعته بعد ستة أيام من وفاة والده 176هـ/788م[4] لم يرضى سليمان بهذه المبايعة ورأى نفسه أنه الأحق بالولاية من أخيه هشام، حيث جهز جيشا وخرج لمقابلة أخيه، انهزم سليمان أمام جيش هشام وفر بذلك إلى طليطلة، وأعلن تمرده على أخيه، حيث استقبلته مدينة طليطلة كما بايعه أهلها لكونه من الأسرة الحاكمة.[5]

كما خرج مع سليمان أخوه عبد الله الذي أصبح بمطمع هو الآخر أيضا بالولاية، وحالما علم هشام بخروج عبد الله إلى طليطلة أرسل خلفه من يعيده، ولكنه لم يتمكن من اللحاق به[6]، وأمام تحالف سليمان وعبد الله لم يجد هشام سوى ملاحقتهم ومحاربتهم في طليطلة، وجهز سليمان حال ما علم بقدوم هشام جيشا من طليطلة وما جاورها واتجه نحو قرطبة[7]، لم يترك سليمان طليطلة وحدها بل استخلف أخاه عبد الله وابنه عليها.

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 50.

[2] نفسه، ص 61.

[3] ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، ص 363.

[4] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص 162.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 61.

[6] ابن الأبار، الحلة السيراء، المصدر السابق، ج2، ص 363.

[7] نفسه، ص 364.

حال وصول هشام إلى طليطلة قام بمحاصرتها، ولم يكن يعلم أن سليمان قد اتجه إلى قرطبة كما أرسل هشام ابنه عبد الملك لمواجهة عمه، وما إن علم سليمان بقدون ابن أخيه رجل منهزما إلى ناحية ماردة، ومن خلال هذه الأحداث لمن يلقي هشام القبض على أخويه رغم انتصاره بل اكتفى بضم طليطلة فقط.

ومن خلال ما قام به هشام اتجاه أخويه، بدأت المراسلات بين سليمان وهشام لإنهاء هذه الثورة والإقرار بحكم هشام، وكانت النتيجة بخروج سليمان وأهله إلى المغرب، وإعطائه حق ميراثه من أبيه الذي بلغ ألف دينار[1]، وبعد هذا الموقف يكون هشام قد تخلص من أخويه الثائرين ضده.

بعدما حدث لسليمان وأخيه عبد الله خاف سكان مدينة طليطلة من أن يكون الدور عليهم، فقد دخلوا إلى طاعة الأمير هشام سنة 175هـ/791م، كما رد هشام على طلب سكان مدينة طليطلة بالقبول والأمان وأرسل ابنه الحكم واليا عليها.[2]

بما أن الحكم ابن أمير الأندلس فقد اهتم خلال فترة حكمه بمدينة طليطلة بجميع النواحي سواءا السياسية والحضارية، خاصة أنه بقي فترة طويلة بها إلى أن تولى الحكم، وبهذا نعمت مدينة طليطلة في السنوات الأخيرة من حكم هشام بالاستقرار والبقاء على الطاعة.

لم يبقى الحال على ما هو في عهد الحكم بن هشام، حيث اندلعت الثورات من جديد في أوائل حكمه في سرقسطة ووشقة وطليطلة، أما طليطلة فقد كانت ثورتها بعد عام من تولي الحكم الإمارة سنة 181هـ/797م[3]، وكان بسبب الحكم الجديد الذي وضع الحكم بن هشام كأمير للأندلس، مما دفع مدن الأندلس إلى الثورة من بينها مدينة طليطلة، وقاد الثورة رجل يدعى عبيد بن خمير، وهنا

[1] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج4، ص 124.

[2] نفسه، ص 125.

[3] ابن حيان، المقتبس، ج5، ص 276.

كانت ردة فعل الأمير سريعة إذ أنه لم ينتظر إلى أن تعد الجيوش من قرطبة إلى طليطلة بل أمر قائده عمروس بن يوسف المتواجد بطلبيرة بالقضاء على هذه الثورة.

جهز عمروس جيشا وبدأ بمواجهة طليطلة وحاصرها، ولكن أمام حصانة المدينة الطبيعية وجد عمروس أنه غير قادر على ذلك، ورأى أنه لابد من إقامة خطة عسكرية التي بدأها بالحيلة بحيث تقرب من أهل طليطلة وأخذ يطمعهم بالنعم والخيرات التي سوف يتحصلون عليها من قبل الأمير الحكم، إذ قام أهل طليطلة بقتل عبيد بن خمير وحملوا رأسه إلى عمروس إلى طلبيرة.

خرج عمروس من مدينة طليطلة للقضاء على ثورة بهلول بن مرزوق المعروف بأبي الحجاج الذي دخل سرقسطة، كما تمكن عمروس من القضاء على هذه الثورة[1]، ذكر ابن الأثير أن عمروس استقر بمدينة سرقسطة وذلك للحفاظ عليها من الكفار والعساكر كما سيرها مع ابن عمه.[2]

ظهر بمدينة طليطلة العديد من الإضطرابات ضد الحكومة بقرطبة، حيث استعمل الحكم الحيل وأساليب الدهاء لكسر شوكتهم، حيث استعان بعمروس وأدخله للإيقاع بأهل طليطلة[3]، وقال له:"إنه لم يقم لي أهل في الانتصاف منهم إلا على يدك" فوافقه على ذلك لتحقيق هذا، حيث كتب عمروس كتابا يخدعهم فيه حيث قال لهم: "إني اخترت لكم رجلا من أهلكم، وأعفيتكم من موالينا، ومن يتصرف بعمالتنا".[4]

تظاهر عمروس بهذا أنه حاقد على الحكم، وعلى بني أمية عامة لكي ينال ثقة أهل طليطلة فوثقوا به[5] ولكي ينفذ خطتهم أقنع زعماءهم ببناء قلعة وسط المدينة بجل عمروس، ولما انتهى من بنائه أخبر الأمير الحكم بذلك لاتخاذ الخطوة التالية من العمل، فسير الحكم جيشا بقيادة ابنه عبد الرحمان بحجة

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 69.

[2] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 335.

[3] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 162.

[4] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 65.

[5] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص 458.

مقاتلة النصارى في الشمال، فلما وصلت الجيوش إلى ظواحي طليطلة أشار عمروس إلى عبد الحرمان حيث أنزله بداره، وأقام وليمة كبيرة دعى فيها زعماء مدينة طليطلة فحضروا إلى القلعة وأخذوا يدخلون من باب ويخرجون من آخر على شكل أفواج ليقل الزحام[1]،فكلما خرج فوج اخذوا من قبل الجند فضربت رقابهم وألقيت جثثهم، حيث قدر ابن عذارى عددهم بسبع مائة[2] وابن القوطية وابن الأثير بخمس آلاف وثلاث مائة وبهذا الفعل استقام أمر أهل مدينة طليطلة.[3]

وبهذا أقر سكان أهل طليطلة بحكم الحكم إلى أن توفي سنة 206هـ/821م، تولى ابنه عبد الحرمان بن الحكم ولكن سرعان ما رجع أهل طليطلة إلى تشجيع الثورات وذلك سنة 214هـ/829م بقيادة هشام الضراب.

استمر أهل طليطلة في العصيان على حكم عبد الرحمان بن الحكم، الذي بعث أخاه الوليد إليها سنة 222هـ/936م، الذي شد عليها الحصار حتى افتتحها عنوة سنة 323هـ/937م حتى استقر أهلها وسكنوا، كما اتخذ عبد الحرمان أسلوب التصنيف والتشديد على سكان مدينة طليطلة وذلك من لخال الهجوم عليهم من فترة لأخرى.

بعدما توفي عبد الرحمان خلف ابنه محمد بن عبد الرحمان سنة 238هـ/852م[4]، وسرعان ما عاد سكان المدينة إلى شن ثورات جديدة كما رفعوا لواء العصيان وقاموا بالعديد من التحركات في إطار العصيان حتى سنة 241هـ/858م[5]، خرج الأمير محمد إليهم، وكان ذلك بالقنطرة حيث جمع

[1] ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص 335.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 70.

[3] ابن القوطية، المصدر السابق، ص 67.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 94.

[5] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 39.

البنائين والمهندسين ليزعزعوا القنطرة للإيقاع بهم من فوقها وهو تحت جسر طليطلة، فوقعت القنطرة وهلك جموع الطليطليين الذين كانوا متجهين إلى محاربته.[1]

وبعد وفاة محمد بن عبد الرحمان تولى ابنه المنذر المكنى أبو الحكم، وفي هذه السنة وقعت طليطلة تحت حكم موسى ذي النون بمساعدة أحد وجهاء طليطلة، حيث قاد جيشا يقدر بعشرين ألف تمكن به من السيطرة على مدينة طليطلة وبهذا اتسع نفوذ مدينة طليطلة، وعمرت أحوازها بالقصور والقلاع[2]، وبعد وفاة المنذر تولى الأمير عبد الله سنة 275هـ/888م في هذه السنة استدعى أهل طليطلة محمد ابن لب من بني قسي بسبب تذمرهم من أسرة ذي النون، وبعها دخلت مدينة طليلطة حماية لب بن محمد الذي بعث أخاه مطرف إليها وصارت تحت حكمه، ولكنهم سئموا من حكم سيدهم فحملوا السلاح ضده وقتلوه، وبعها بقيت طليطلة مستقلة تدير شؤونها بنفسها.[3]

ظهرت مدينة طليطلة في عهد الأمارة بكثير من العصيان كما وقعت بها العديد من الثورات، كما كانت مركزا للعديد من الثائرين ضد أمراء بني أمية وضد الحكومة المركزية لذا عمل حكام قرطبة على تخريب حصونها وقمع ثوراتها.

[1] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 167.

[2] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 268.

[3] محمد ابراهيم أبا الخليل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (275- 300 هـ/ 288- 912م)، ط1، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1995، ص ص 184 – 185.

المبحث الثالث: طليطلة في عهد الخلافة (316– 422هـ/ 928 – 1030م)

بدأ هذا العهد بإعلان عبد الرحمان الناصر نفسه خليفة عام 316 هـ/ 928 م، فقام في محرم عام 318 هـ- 930 بارسال وفد إلى طليطلة على رأسهم أهل الخدمة لديه والعديد من الفقهاء المعروفين بصلاح الحال، لكي يردوا أهلها إلى الطاعة[1]، ومن أفراد الوفد نجد الفقيه محمد بن عبد الله بن أيمن، والفقيه محمد بن إبراهيم بن عيسى، وبالرغم من إرسال عبد الرحمان الناصر الوفد المذكور إلى طليطلة إستمروا في عصيانهم[2].

اعتقد أهل طليطلة أن الخليفة لن يرسل لهم الوفد ولم يتأخر عن محاربتهم، إلا أن رأيهم لم يكن على صواب، فما إن عاد الوفد إلى قرطبة وعلم الخليفة بأمر أهل طليطلة أعلن استعداده لضم طلطيلة بالقوة.

بعد ما عزم عبد الرحمن الناصر للجوء إلى القوة والعنف بالتعامل مع أهل طليطلة، حيث أرسل جيشا كبيرا بقيادة سعيد بن منذر إلى طليطلة وأمره بحصارها، والسيطرة عليها وما إن اشتد الحصار على المدية وقلت المؤونة على أهل طليطلة رأى أصحاب القوة أنه لابد من الدخول إلى طاعة الناصر، فقدم إلى الخليفة الناصر صاحب حسن فنليش والفهميين[3] يعرضون عليه الدخول في طاعته إستحسن الخليفة ذلك وأمر بنقلهما إلى قرطبة.

بعد الحصار الذي دام عامين بطليطلة عاد الناصر في صدر جمادى الآخر سنة 320هـ/ 932م حيث عزم أن ينزل بها الهزيمة وقد كان الثوار قد فقدوا كل آمال في المقاومة كما اتعبهم الحصار[4]، كما جاء في قول إبن عذارى:" فلما يأس أهل طليطلة أن ينصرهم أحد من بأس الله الذي عاجلهم،

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 202.

[2] ابن حيان، المقتبس، ج5، ص 270.

[3] الفهميين: مدينة بالأندلس بالقرب من طليطلة، كانت مدينة متحضرة حسنة الأسواق والمباني، وفيها مسجد جامع، ملكها الروم لما ملكوا طليطلة. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 443.

[4] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 401.

وإنتقامه الذي طاولهم عادوا بصفح أمير المؤمنين"، حيث خرج أميرهم محمد بن عبد الوارث إلى الخليفة الناصر واستأمنه وإستقال وسلم أمر طليطلة للناصر وأعطى الأمانة لأهلها.[1]

أمر الخليفة بهدم حصون المدينة كما أمر ببناء حامية أموية تكون مستقرا للجيش، ومركزا للحكم على جميع سكانها، كما ملأها بالسلاح وقام أيضا بترميم قنطرتها الشهيرة.

سعى الخليفة الناصر إلى أن تكون مدينة طليطلة مركزا للعبور إلى الشمال وقاعدة للغزو نظرا لموقعها الإستراتيجي، خاصة بعد ما حاول النصارى إلى غزو الشمال والخروج من قلاع الثغر الأدنى سنة 325هـ/935م استعد الناصر إلى غزو الثغر الأعلى حيث خرج من قرطبة إلى مقاومة أعداءه وفي طريقه لقي النصارى محتشدين بأطراف الثغر بسرقسطة يحاولون بذلك الزحف نحو طليطلة لإثارة الثورة فيها[2]، لكن الناصر سار إليها بجيش وأمنها وّأقام بها بعض الوقت وضبط خلالها أمور منطقتها.

أثناء غزوة الناصر ضد النصارى أمر القائد احمد بن محمد إلياس ببناء قلعة بطليطلة الذي بناها وشحنها بالرجال والأقوات، أما من الناحية الإدارية تولى أمر طليطلة محمد بن عبد الله حيدر سنة 321هـ/ 932م ثم تولاها بعده أحمد بن علي بن وهب سنة 343هـ/ 952م[3].

إتخذ الخليفة الناصر من جميع الثائرين عليه بالأندلس بقوة التفكير السليم خاصة طليطلة جعلها تابعة إلى قرطبة، كما هدم جميع الحصون التي تأوي المتمردين، وهذا الأسلوب تبناه إبنه الخليفة الثاني بعد وفاة الناصر سنة 350هـ/ 962م، ذكرت لنا المصادر أنه في ذي الحجة من سنة 50 توافد الوفود على الخليفة الحكم من جميع البلاد للبيعة وكان أهل طليطلة من الوفود التي جاءت للبيعة[4]، ويدل

[1] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص 181.
[2] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص 460.
[3] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 401.
[4] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ج1، ص 460.

هذا على أن طليطلة في عهد الحكم بقيت تابعة لأوامر الحكومة المركزية، كما تولى أمرها غالب بن عبد الرحمان الناصري صهر الحاجب المنصور بن أبي عامر.[1]

من الأعمال التي قام الحكم تجاه مدينة طليطلة إذ جعل من المدينة ملتقى الجيوش المتطوعة التي وفدت إليه من سائر مناطق الأندلس، بقيت طليطلة على هذا الحال حتى أواخر الحكم المستنصر الذي كان من أفضل خلفاء الاندلس ولكنه اصيب أواخر أيام حكمه بالشلل توفي سنة 366هـ/ 976م، مستخلفا إبنه الصغير هشام الامر الذي يراه جل المؤرخين أنه خطأ وق فيه المستنصر إذ أنه لم يتنقى خلفه شخص أجدر بالحكم.[2]

أما بالنسبة لمدينة طليطلة فلم يتغير الحال فقد أدت وظيفة تموين الجيوش، كما يذكر لنا ابن عذارى المراكشي أن محمد بن أبي عامر دخل طليطلة واجتمع مع صهره[3] الذي أمده بالجيوش وافتتح حصن زينق وعاد إلى قرطبة بالثروات، بعد هذه الغزوة قوي أمر ابن أبي عامر بحيث رقاه الخليفة هشام غلى مناصب أعلى.

بعد وفاة الحاجب المنصور بن أبي عامر سنة 392هـ/ 1002م خلفه ابنه هشام ابن عبد الملك الملقب بالمظفر وسيف الدولة[4]، حيث بدأ ولايته بالغزو في أراضي النصارى سنة 393هـ/ 1003م وأول ما غزاه هو بلد الإفرنج وبرشلونة بحيث كانت مدينة طليطلة محاطة بجيوشه وأيضا كانت محطة للتأهب والتزود بالزاد وذلك سنة 395هـ/ 1005م في غزوته الثانية[5]، توفي عبد الملك سنة 398هـ/

[1] المقري، المصدر السابق، ج1، ص 388.

[2] شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص 460.

[3] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج3، ص 253

[4] ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص 73.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 5.

1008م وخلفه أخوه عبد الرحمان بن أبي عامر الملقب بشنجول[1]، الذي كان عكس عبد الملك، حيث أنه بسط يده على أملاك الدولة كما طلب الولاية من الخليفة هشام من بعده فكان له ذلك سنة 399هـ/ 1009م كما قام بعد هذا بتعيين إبنه عبد العزيز بخطة الحجامة، ثم إنصرف إلى الخلاعة والمجون بعدما أدرك أن الامور قد دانت لها.[2]

إتجه عبد الرحمان إلى الشمال قاصدا جليقية للغزو، حيث خرج صوب طليطلة ثم إخترق حدود مملكة ليون ودخل جليقية ولك ملك ليون لم يتقدم للقاءه، فارتد بذلك إلى طليطلة وهناك واقعه أنباء إنقلاب محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمان الناصر من بني أمية الملقب بالمهدي[3]، الذي اغتنم فرصة خروج عبد الرحمان وحاصر بذلك قرطبة وهاجم صاحبها عبد الله وقتله، كما أرسل إلى الخليفة هشام يهدده بالتخلي عن منصبه، سلم بعدها الخليفة هشام منصب له بحضور كافة الأعيان والوزراء والقضاة وآلة الخلافة إلى هشام سنة 399هـ/1009م.

بعدها سار عبد الرحمان بجيشه إلى طليطلة إلى قلعة رباح وهناك أعلن تنازله عن ولاية العبد واكتفى بالحجاجة، وبعد ذلك ذلك كتب إلى طليطلة وأعلامها يناشد الناس بأن ساعدوا الخليفة هشام والتمسك بطاعته، لكنهم لم يجيبوا إى ذلك وبعدما ثبت منصب المهدي على الخلافة كتب إليه واضح العامري والي طيلطلة بالطاعة وبهذا أصبحت مدينة ما زاد في قوته.[4]

فشل المهدي في فرد من الأمان في قرطبة، كما قام بسجن سليمان بن هشام الناصر الذي كان قد جعله ولي عهده وزاد في التحامل على البربر وذلك لبغضه لهم[5]، وهذا ما جعلهم يلتفون حول

---

[1] شنجول: اسم غلب عليه من قبل أمه عبدة بنت شنجة المسيحي، حيث كانت تناديه في صغره بشنجول وكان أشبه الناس بجده شانجة. أنظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ص 38.

[2] نفسه، ص: 38.

[3] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ص 97.

[4] نفسه، ص 112.

[5] **ابن** عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 78.

سليمان بن هشام بن الناصر، الذي فر من قرطبة طالبا النجاة بنفسه، عقدوا له الخلافة وسموه المستعين بالله وذلك في شوال من سنة 399هـ/ 1009م[1]، توجه مستعين مع زعماء البربر إلى طليطلة وهنالك إستعانوا بأمير قشتالة ليمدهم بالجيوش المحاربة، فأعطاهم أكثر من 20 ألف شخص وانهزم المهدي ودخل سليمان قرطبة وبويع بالخلافة سنة 400هـ/ 1010م وأطلق عليه إسم الظافر بأمر الله.[2]

بعد أن هزم المهدي قصد طليطلة وتقبله أهلها، حيث حاول استمالتهم وكسب ولاتهم وذلك عن طريق أحمد بن وداعة الذي أرسل معه جيشا إلى أهلها، عاد القائد احمد يخبر خلافهم له ثم أعاد المهدي الكرة وأرسل جماعة من الفقهاء والوزراء لنفس المهمة لكنهم قبلوا بالرفض[3]، حيث تأهب المهدي بنفسه قاصدا مدينة طليطلة يوم الإثنين 11 جمادى الآخر سنة 400هـ/ 1010م[4] ولما إقترب من مدينة طليطلة أرسل مجموعة من الفقهاء لكنه قبل بالرفض.

ظلت مدينة طليطلة فترة 401هـ/ 1011م وحتى سقوط الخلافة عم الهدوء والسلم بها رغم الأحداث المذكورة فلم تقم مدينة طليطلة بشيء ظاهر وبقيت متحصنة داخل أسوارها تعيد تنظيم أمورها.

ومن خلال هذا يمكننا أن نستنتج أن مدينة طليطلة بلغت ذروة قوتها من خلال عهد الناصر وابنه الحكم المستنصر والحاجب المنصور ابن أبي عامر الذي أعطوها عناية خاصة، وذلك بإنشاء الثغور والحصون والأسوار والأبراج وغيرها من وسائل التحصين، مما ساهم بشكل كبير في تدعيم قدراتها العسكرية والدفاعية، كما تمكنت من خلال هذا من التصدي لخطر النصارى الاسبان.

[1] الذهبي، المصدر السابق، ج 17،ص 129.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 60

[3] نفسه، ص 60. وينظر أيضا: إبن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص 193.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 93

الفصل الثالث: سقوط مدينة طليطلة

(478هـ/1058م)

المبحث الأول: إنهيار السلطة الأموية وأثره على مدينة طليطلة

المبحث الثاني: طليطلة في ظل حكم بني ذي النون إلى غاية سقوطها على يد القشتاليين.

المبحث الأول: انهيار السلطة الأموية وأثره على مدينة طليطلة.

بعد سقوط الخلافة الأموية عرفت بلاد الأندلس مرحلة جديدة عُرفت بملوك الطوائف وذلك بحدود القرن الخامس الهجري والحادي عشر ميلادي الذي أدى إلى تقسيم الأندلس إلى دويلات عرفت هذه المرحلة بالتطاول على الخلفاء وخلعهم فبعضهم كان يعين أكثر من مرة والبعض منهم حكم لعدة أشهر فقط.

من بين الحكام الذين حكموا أكثر من مرة نذكر محمد بن عبد الرحمان المستكفى بالله الذي ولي الخلافة مرتين وبعدها عزل عنها نهائيا وذلك في سنة 416هـ/1025م الذي لم يستطع مواجهة يحيى بن علي بن محمود المعتلي بالله الذي أتى إلى قرطبة لانتزاع الحكم منه.

هرب محمد بن عبد الرحمان المستكفى بالله من يحيى بن علي مدة سنة وأربعة أشهر[1] وبقي يحيى بقرطبة طيلة فتة هروب محمد بن الرحمان إلى غاية نهاية سنة 416هـ/1025م وبعدها عاد إلى مالقة، وفي هذه الفترة بقيت قرطبة بدون حاكم حتى سنة 418هـ/1027م، خطب هشام بن محمد المعتد بالله بالخلافة بقرطبة وفي سنة 420هـ/1039م حل بقرطبة لكنه كان كسابقيه صاحب ملاذ وهوى حيث ترك الحكم لوزرائه إلى أن خرج إبن عمه أمية بن عبد الرحمان بن هشام بن سليمان بن عبد الرحمان الناصر.[2]

أثرت كل هذه الأحوال على المجتمع الأندلسي، بحيث إجتمع وزراء الدولة وشيوخها وأصحاب الرأي بقرطبة وأعلنوا إبطال الخلافة وإجلاء المروانية ونفيهم وذلك بسبب سوء حكمهم وبهذا إنتهت خلافة بني أمية بالأندلس سنة 422هـ/1031م[3] وبسبب مآلته الأندلس من ضعف وهوان فقد ذهبت مقاليد الحكم إلى رجال بعيدي كل البعد عن السلطة وشؤون الحكم الذين إهتموا

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 141.

[2] لسان الدين ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 136.

[3] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص ص 152-153. وينظر أيضا: ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 101.

بملذاتهم وشهواتهم وتحقيق مصالحهم الشخصية وبهذا تفككت وحدة الأندلس كما سقطت العديد من مدنها في أيدي النصارى.

وبهذا حققت مدينة طليطلة غايتها بالانفصال عن قرطبة وإكمالها لسيرتها السابقة المتمثلة بالهدوء في أواخر عهد الخلافة.

يظهر لنا أن مدينة طليطلة حجزت نفسها، ولم تؤيد أي ثائر كما أنها لم تقف مع أي من الأمراء ويتجلى ذلك من خلال إبقائها على حكامها ولم تستعين بأحد إلا بعد ظهور أمراء أقوياء محاربين وكان هذا بداية فقرة ملوك الطوائف.[1]

ومن خلال هذا نرى أن مدينة طيلطلة أقامت حكومة وإدارة تهتم بشؤونها منذ أول الفتنة خاصة مع انشغال حكام الدولة والأقاليم بالفتنة والاضطرابات السياسية.

وللحديث عن حكام مدينة طليطلة في الفترة الممتدة من عام 422هـ/1031م إلى غاية 427هـ/1035م نجد أن هنالك إختلاف فبعض المصادر تذكر لنا أبرزهم والبعض يذكر لنا أشخاصا لم يذكروا قط في مصادر أخرى، يمكن أن يكون هذا الإختلاف بسبب أن بعض المصادر ذكرت لنا الحكام البارزين كأمراء والذين كانت لهم هيبة والبعض الآخر الذين لم يبذوا أي اهتمام بمراسيم خاصة بالحكم وأداروا شؤون المدينة فقط.

من بين الحكام الذين ذكروا –دون ترتيب–: ابن ميسرة، عبد الرحمان بن ميتوه وابنه عبد الملك، محمد بن يعيش وابنه أبو بكر يعيش، سعد بن كوثر وابنه أبو عامر أحمد.[2]

أول من حكم مدينة طليطلة زمن الفتنة إذ أن هنالك إختلاف بين عبد الرحمان بن ميتوه ومحمد بن يعيش وابنه يعيش بن محمد[3]، والظاهر أن محمد بن يعيش هو من سبق بالحكم بأن والده حكم قبله المدينة، ودلتنا المصادر أن محمد بن يعيش هو أول من حكم طليطلة أيام الفتنة وأول من

[1] ابن خلدون، تاريخ االبن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 161.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 276.

[3] ابن خلدون تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 161.

فار بطليطلة، وفيما يخص عبد الرحمان بن ميتوه فحكمه كان أواخر الفترة بعد حكم إبنه عبد الملك وبعده حكم بني ذي النون، ومن هذا فإن محمد بن يعيش هو الحاكم الأول لطليطلة.[1]

أما فيما يخص ترتيب الحكام في مدينة طليطلة لا يمكننا أن ترتيبا متكاملا مثبتا وإنما ترتيبا جزئيا، فقد تبع محمد بن يعيش بن منذر الأسدي وسعد بن كوثر وإبن ميسرة ثم حكم أبو بكر يعيش بن محمد يعيش وأحمد بن سعيد بن كوثر واستمر يعيش في الحكم بعدما أزاح أحمد بن سعيد وتبع عبد الرحمان ابن ميتوه إبنه عبد الملك.

بعد سقوط الخلافة الأموية بالأندلس يتضح أن الحكم في مدينة طليطلة تحول إلى وراثي وهذا ما يفسر لنا خضوع أهل المدينة لبعض الحكام ومجاراتهم للبعض الآخر، كما قام أهلها بخلع العديد من الحكام كما سيظهر لنا لاحقا.

ومن هذا يمكننا أن نذكر جزءا ليس بالكبير عن سير بعض حكام مدينة طليطلة فمثلا: محمد بن عيش الذي كان صاحب مكانة ظاهرة بالأندلس حتى أصبح قدوة لبعض حكامها، كان فقيها حافظا للمسائل وهو فقيه طليطلة في زمنه كما كان قاضيا، لم يطل حكمه بالمدينة ويذكر أن أهل طليطلة قدموه على أنفسهم بعد سقوط الخلافة الأموية[2]، أما يعيش بن محمد والذي يكنى أبا بكر كان له رحلة إلى المشرق لقي من خلالها العديد من العلماء، كان فقيها عالما بالمسائل[3]، ونذكر أيضا عبد الرحمان بن ميتوه الذي كان نصيرا لسليمان وحلفائه البربر، قاتل معهم ضد الخليفة المهدي الذي ولاه أهل طليطلة، أما إبنه والذي عزل من قبل أهل طليطلة في كون أنه ليس كوالده ولم يكتسب القدرة على الإدارة والحكم وأساء أيضا إلى أهل طليطلة، وأيضا نذكر إبن ميسر الذي سبق يعيش بن محمد يعيش في الحكم وكان يميل إليه في فترة حكمه كما يظهر لنا أنه كان مشاركا في الحكم المكون

[1] القلقشندي، المصدر السابق، ص 252.

[2] ابن حزم الأندلسي، رسائل إبن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس،ج2، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1981م، ص 93-94.

[3] أبو قاسم خلف بن عبد الملك المعروف بابن بشكوال، الصلة بتايخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، صححه السيد عزة العطار الحسيني، ج2، ط2، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، 1414هـ/1994م، ص 205.

منه ومن يعيش ومن سعيد وكوثر، وأخيرا أحمد بن سعيد بن كوثر المكنى أبا عامر كان فقيها أخذ العلم من علماء بلده، أجازه جماعة من قرطبة مع أبيه وكان يقدم إليه الطلاب من الأندلس والمشرق، ويظهر لنا أنه كان مشاركا في الحكم مع يعيش لكنه قتل من قبله.[1]

بعد حكم كل هؤلاء الحكام أتى حكم بن ذي النون، حيث استدعى أهل طليطلة بني ذي النون لحكمهم فأرسل إليهم ابنه إسماعيل.[2]

افتقرت هذه الفترة للعديد من المعلومات، ويعود هذا إلى أن المؤرخين لم يركزوا على مدينة طليطلة وهذا ما أدى إلى وجود غموض واختلاف في المعلومات من مؤرخ إلى آخر، ذكر لنا ابن خلدون في كتابه ابن خلدون في الجزء الرابع أن الأوضاع في مدينة طليطلة سواءا الاقتصادية أو الاجتماعية لم تتأثر، وكانت الحياة بالمدينة تسير بشكل طبيعي ويظهر هذه من خلال عدم وجود ردت فعل أو أمور مخالفة خاصة مع بداية حكم بني ذي النون ولم تعاين طليطلة من أي أمر.

وذكر لنا أيضا ابن خلدون أن سبب إقالة بعض الحكام من قبل أهل المدينة ليس بسبب ضعفهم ولكنهم لم يتمكنوا هؤلاء الحكام من كسب قلوب أهل المدينة، وأيضا أن أغلب حكامهم كانوا أصحاب علم ولم يكونوا أهل السياسة لذا فشلوا[3] وبهذا فإن هذه الفترة انتهت حوالي سنة 427هـ/1035م.[4]

[1] ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 206.

[2] ابن الأبار، المصدر السابق، ص 37.

[3] ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، المصدر السابق، ج4، ص 161.

[4] القلقشندي، المصدر السابق، ص 252.

المبحث الثاني: طليطلة في ظل حكم بني ذي النون إلى غاية سقوطها على يد القشتاليين.

تواجد نسل عائلة ذي النون بالأندلس منذ القديم، حيث دخلوها مع الفتح الإسلامي ثم استقروا بها كغيرهم من القبائل والجماعات التي شاركت في الفتح وبعدها إندمجوا في المجتمع الأندلسي وأصبحوا لا يميزون إلا من خلال نسبهم القديم.[1]

يعود أصل بني ذي النون كما ذكر في كتب التاريخ أنها تنتمي إلى قبيلة هوارة[2] البربرية، التي تعرف بإسم "زنون" وذلك نسبة إلى جدهم الذي ذكر من قبل إبن خلدون وهو إسماعيل الظافر بن عبد الرحمان بن سليمان[3] بن ذي النون:"تصحف بطول المدة فصار ذي النون"[4]، أي تغير اللفظ من زنون إلى ذي النون وهذا معروف عند القبائل البربرية تشبها بالإسم الوارد في القرآن الكريم.[5]

أما فيما يخص تواجد هذه الأسرة بالأندلس فذكر أنهم نزلوا مع طارق بن زياد سنة 92هـ/711م واستقروا بها، كما ذكر أنهم لم يكن لهم دورا في الحياة الإجتماعية والسياسية إلا مع بداية الحكم الإسلامي[6]، وقيل أيضا أن فترة حكم الدولة الأموية أن أعداد منهم تجمعت بشنترية قرب مدينة طليطلة واستقروا بها، فأقاموا الحصونة والقلاع وبدأت أعدادهم في التزايد وازدهرت أحوالهم وبهذا أصبحوا أندلسيين بأصول مغربية خاصة بعد تزاوجهم.[7]

---

[1] سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج1، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 101.

[2] هوارة: من بطون البرانس ولد هوار بن أوزيغ بن برنس، يزعم البعض أنهم عرب اليمن ويقولون من إحدى بطون قضاعى ويقال أيضا من ولد المسور بن السكسك بن وابل وتعد من بني ينهل يعرفون بنسبهم هكارة. ينظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 182.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 276.

[4] ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص 206.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 276. وينظر أيضا: ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص 176.

[6] عبد المجيد نعناعي، المرجع السابق، ص 64.

[7] نفسه، ص 65.

برزت عائلة ذي النون إبان فترة حكم الأمير محمد بن عبد الرحمان الأوسط 238-273هـ/852-885م، حيث حكم جدهم سليمان حصن إقليش حظي بمكانة لدى الأمير، أقره محمد بن عبد الرحمان على ولاية حكم إقليش وشنترية وذلك حينما كان الأمير محمد بن عبد الرحمان متجها إلى الثغر الأعلى في إحدى غزواته مرض خصي له من أكابر غلمانه، فمر على ذي النون بن سليمان الهواري جد بني ذي النون وأبقى خصيه لديهم إلى أن يشفى، إهتم سليمان بغلام الأمير حتى شفي ثم نقله إلى قرطبة، أقر الأمير بإبقاءه إلى ناحيته وترك بعض أولاده رهينة لديه ليضمن حسن طاعة سليمان، وبقي هذا الأخير مواليا للأمير إلى أن توفي[1] وترك إبنه موسى خليفة لحكمه.[2]

بعد وفاة سليمان بن ذي النون خلفه إبنه موسى الذي لم يمشي على خطى والده وخرج عن طاعة الأمير وذلك سنة 260هـ/873م، إستقل بشنترية وأغار على أهل طليطلة واستولى عليها بعد وفاة الأمير سنة 273هـ/886م[3] يمثل هذا التاريخ الحكم الأول لبني دي النون على طليطلة، إستمر هذا الحكم لعدة سنوات إلى أن حكم محمد بن لب[4] المدينة وذلك بعد إستدعاء أهل طليطلة له وخرجت المدينة من أيدي ذي النون.

تولى أمور مدينة طليطلة بعد محمد إبنه لب بن محمد الذي أوكل أمورها إلى مطرف بن طربيشة إلى أوائل فترة خلافة الأمير الناصر لدين الله سنة 300-350هـ/912-962م.[5]

كان لأبناء موسى بن ذي النون الفتح ومطرف ويحي ظهور كبير بعد وفاة والدهم، فقد حكموا مثل قلعة رباح وإقليش ووبذة.[6]

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 276.

[2] ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 142.

[3] ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله قاضي، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م، ص 284.

[4] محمد بن لب: ثائر بمدينة سرقسطة الذي دخلها سنة 258هـ وملك أرنيط وجريش وغزى بنبلونة حتى ملكها. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 230.

[5] ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 142.

[6] نفسه، ص 159.

وفي زمن الخليفة الناصر لدين الله سعى الفتح بن موسى بن ذي النون إلى الإستقلال بقلعة رباح سنة 300هـ/912م، حيث أرسل الخليفة الناصر حملة عسكرية بقيادة العزيز وتم إخضاع الفتح[1]، بعدها ظهر ذي النون في حملة دفاع عن مدينة بقيرة[2] سنة 311هـ/923م التي كانت تحت حكم عبد الله بن محمد بن لب الذي حاصره سانشو حاكم بنبلونة والذي كان مع لب مطرف بم موسى بم ذي النون ومحمد بن محمد بن ذي النون، إنهزموا وأسرهم حاكم بنبلونة وقطع رؤوسهم إلا مطرف الذي ساعده الخليفة الناصر على الفرار وأعاده إلى بلده.

بعد هذه الحادثة خرج الخليفة الناصر سنة 312هـ/924م في غزو إلى بن بلونة وفي طريق عودته مرة على بني ذي النون وكان حاكم شنترية يحي ين موسى الذي خرج إلى الخليفة مع يحي بن أبي الفتح معترفا بذنبه ومستسلما له، ولكنهم خرجوا للعصيان والخروج سنة 314هـ/926م قاد الحميد بن بسيل حملة إلى الثغر الأعلى لمقاتلة ذي النون الذين تطاولوا على من جاورهم من مسلمين، وتمكن الوزير من قتل محمد بن محمد بن ذي النون وافتتح مدينة سارية ودفع أهلها الجزية.[3]

بعدها قام الخليفة الناصر سنة 317هـ/929م لتعيين بن يحي بن ذي النون حاكما على شنترية لذي خضع للخليفة وكان تعيينه عبارة عن كفاءة إلا أنه لم يدم ذلك طويلا وعاد يحي للعصيان وأقامهم تحت الإقامة الجبرية سنة 321هـ/933م.[4]

أما في فترة حكم المستنصر سنة 354هـ/965م ميلادي قام قاسم بن مطرف بن ذي النون مع غالب بن يحي التوجيبي بتشييد حصن في آلية وتوشيدو، قام المستنصر بإقامة مطرف بن اسماعيل

[1] بقيرة: مدينة في شق الأندلسن معدودة في أعمال طليطلة بينهما إحدى عشر فرسخا وهي أيضا حصن من أعمال ريا. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 479.

[2] ابن عذارى، مصدر سابق، ج2 ، ص 184.

[3] محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 390.

[4] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 72.

بن ذي النون على وبذة كما أضيفت إليه أكثر حصون شنترية التي قرب إقليم إقليش وهذا نظرا لدور بني ذي النون في حماية الحصون والدفاع عن الثغور.[1]

وفي ظل حكم الأسرة العامرية استمر الولاء وظهر في عهد المنصور بن أبي عامر عبد الرحمان بن ذي النون وولده إسماعيل اللذان بقيا في خدمة المنصور إلى غاية وفاته وزوال دولته، أما في عهد سليمان الظافر لما كانت القوة للبربر منح لعبد الرحمان حكم إقليش كما استولى إسماعيل على قلعة فونكة بعد وفاة الفتى واضح العامري بعدها بسط إسماعيل بأراضي شنترية ومنحه الخليفة الوزارة وسماه ناصر الدولة[2] نظرا لقوته ومكانته.

بعد انهيار السلطة المركزية أعلن إسماعيل بن ذي النون استقلاله وقام بالتوسع على حساب الأراضي كما اتسعت أعماله.[3]

مما سبق يظهر لنا أن أسرة ذي النون كانت من بين أكبر الأسر التي أوجدت لنفسها مكانة لنفسها مكانا بين مثيلاتها كما أثبتوا وجودهم بالأندلس سواء في ظل الدولة وإعانتها أو ضد الدولة.[4]

وصل بنو ذي النون إلى حكم طليطلة بعدما ضجر أهلها من الحكام الذين أخذوا يقيمونهم ويعزلونهم أيام الفتنة، حيث راسل أهل المدينة بن ذي النون الذي كان مقيما بشنترية للقدوم إليها قام عبد الرحمان بدوره بإرسال إبنه إسماعيل.[5]

أصبح إسماعيل بن عبد الرحمان أول حاكم لطليطلة من بني ذي النون وكان ذلك 427هـ/1036م، كان لعبد الرحمان دور كبير في إعداد إبنه إسماعيل حيث تمكن هذا الأخير من

[1] المقري، المصدر السابق، ج1، ص 383.

[2] إبن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص 142.

[3] عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 96-97.

[4] سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1414هـ/1993م، ص 83.

[5] ابن الأبار، مصدر السابق، ج2، ص 37-38.

السيطرة على المدينة وأهلها، ونالت سياسته أهل المدينة وإعجابهم، فجعل من شيخ البلدة أبا بكر بن الحديدي ساعده الأيمن فلا يقوم بأمر إلا بعد مشاورته وكان أبا بكر أهلا للعلم والعقل والدهاء.

واستعان أيضا بالحجاج بن محفور وإبن سعيد بن فرح، لم يكن لهؤلاء عمل معين واكتفوا بمساعدة سيدهم كوزراء دون تحديد، وبهذا أصبح إسماعيل صاحب شأن كبير واعتبرت مملكة ذي النون من أكبر ممالك والطوائف فيما بعد.[1]

أما فيما يخص الجانب العسكري فقد ذكرت لنا المصادر هزيمته من قبل النصارى وتوجه إلى سرقسطة وذلك بعد مقتل ابن أخته المنذر سنة 420هـ/1039م[2]، استعمل إسماعيل سياسة عدم الاحتكاك مع الأمراء المجاورين له وذلك لبسط حكمه، لأنه رأى أن دخوله في معارك معهم تؤدي إلى توسيع نفوذهم قبل أن يتمكن من فرض نفسه على حكم مدينة طليطلة والمناطق التابعة لها وهذا يمكن أن يؤدي إلى إنهيار وزوال حكمه مبكرا.

توفي إسماعيل سنة 453هـ/1043م على الأرجح[3]، لكن بعض المصادر تقر غير هذا إلا أنه هناك البعض منها المادية التي تؤكد بعض النقود تعود إلى فترة إسماعيل الظافر مسكوكة عليها اسمه وتاريخ عامي 434هـ/1042م و435هـ/1043م وأيضا توجد نقود باسم المأمون ولده بتاريخ 435هـ/1043م.[4]

بعد وفاة إسماعيل ابن عبد الرحمان خلفه في الحكم ابنه المأمون، حكم طليطلة وجل المناطق المجاورة لها من بلاد الجوف والشرق إلى بلنسية والأراضي الممتدة مع مملكة سرقسطة وإمارتي البونت والسهلة شرقا، وأيضا بعد حدود مملكتي بلنسية ودانيا من الجنوب الشرقي إلى حدود مملكة

[1] المقري، المصدر السابق، ج1، ص 415.

[2] ابن عذارة، المصدر السابق، ج3، ص276.

[3] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص115.

[4] نفسه، 116.

باطليموس، أما من الجنوب فنجد حدود إرثه مع مملكتي غرناطة وقرطبة ووصلة شمالا إلى نهر الدويرو.[1]

ويذكر أنه كان بين المأمون وعمه أرقم بن عبد الرحمان فتنة وبغض، عندما فر أرقم إلى النصارى دس المأمون إليهم من يخبرهم بأن أرقم جاسوس فقتل من قبل النصارى، لأن المأمون خاف من أن يطالب عمه على الحكم ويبدأ الصراع بينه على السلطة، إستمر الوزراء مع المأمون وذلك تبعا لوصية والده قبل وفاته.

بعدما استلم المأمون زمام الحكم بدأ بحملة توسيعية كغيره من حكام الأندلس، فطلب المساعدة من الإفرنج وراسل أحد ملوكهم يدعى شنشكندة وطلب لقائه لعقد مصلحة بين الطرفين.

طلب المأمون من شنشكندة أن يأتي ومعه مائة فارس إلا أن شنشكندة أحضر معه ستة آلاف فارس وأقامهم خلف جبل بالقرب منهم كما أخبرهم بأن يظهروا بعد إجتماعه مع المأمون وفي المقابل كان مع المأمون مائتي فارس فقط، وعندما حشود شنشكندة رضي بشروطه، حيث طلب منه بعض الحصون ومبلغ مالي كل سنة فعاد المأمون إلى طليطلة خاسرا منكسرا بدل أن يكون كاسبا.[2]

بالرغم ما حدث للمأمون لم يتوقف عن أطماعه الشخصية، ويظهر هذا من خلال صراعه مع الأمير سليمان بن محمد بن هود حاكم سرقسطة، حيث سع كل طرف لحكم الآخر ومن ذلك نرى نزاعهما على واد الحجارة، إنقسم أهلها على قسمين فقسم كان ميالا لحكم إبن هود والقسم الآخر كان يميل إلى المأمون أرسل إبن هود جيشا عاجلا تحت قيادة إبنه أحمد إستطاع مساعدة أهل المدينة الدخول إليها والسيطرة عليها[3]، مما أثار المأمون وجعله يمشي بجيوشه إلى المدينة ويتابع أمرها بنفسه ظنا منه أنها تابعة له.

[1] مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي الرقاق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ص181.

[2] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص127.

[3] الذهبي، سير أعلام النبلاء، تح: نذير حمدان، ط1، مؤسسة الرسالة، 1996، ص 87.

حدث القتال بين إبن هود والمأمون حيث فر بن ذي النون إلى طلبيرة وتحصن بها بعدها تبعه بن هود وحاصره وظل هذا الحصار إلى أن أبلغه والده بالعودة.

أثرت هذه الواقعة في نفس المأمون وأخذ يفكر في طريقة للانتقام من ابن هود حيث فاوض ملك قشتالة فرناندو الأول وطلب مساعدته مقابل أن يدفع له بالمقابل، بدأ المأمون بالتعرض لأراضي ابن هود وذلك بإفسادها والهجوم عليها[1]، وهذا ما أثبت لنا أطماع المأمون الخاصة بعدما تعرض لأراضي المسلمين.

تحالف المأمون أيضا مع صاحب إشبيلية المعتضد بن عباد ونصرته ضد ابن هود، ولأجل هذا أظهر المأمون تبعيته للدعوة كما عقد البيعة على نفسه وأظهر تأييده على منابر المساجد، ولكن ابن العباد إنشغل عن المأمون بحربه على إبن الأفطس وتوسعاته الشخصية.

وبهذا قام ابن هود بالتحالف مع النصارى حيث طلب منهم مهاجمة طليطلة التابعة إلى المأمون بن ذي النون، خرج النصارى إلى طليطلة وقاموا بشن غارات متتابعة عليها، التي كلفت المدينة الكثير من الرجال والمال وأثرت بشكل واسع على أحوالها العامة، حيث قام أهل طليطلة بمراسلة سليمان ابن هود مطالبين إياه بالمصالحة[2]، ومن الممكن أن يكون هذا الطلب من المأمون نفسه لكن دون إظهار ضعفه أمام ابن هود فأوكل هذا الأمر إلى أهل المدينة.

لم ينته هذا الصراع إلا بعد أن توفي سليمان بن هود سنة 438هـ/1046م، دام هذا النزاع مدة ثلاث سنوات.[3]

أيقن المأمون أنه يجب أن يعتمد على نفسه في حملاته التوسعية بعدما تعرض للخذلان من قبل النصارى كما أنه لم يستفيد من تحالفه مع إبن عباد، ولهذا توجه نحو أراضي إبن الأفطس من

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص278.

[2] نفسه، ص219-220.

[3] نفسه، ص276.

الناحية الغربية كون أنها أضعف من المناطق الأخرى، حدث بينه وبين إبن الألإطس العديد من المعارك وذلك إبتداءا من سنة 443هـ/1051م لكن المصادر لم تأكد هذا التاريخ.[1]

لم تتسم شخصية المأمون بالضعف والخضوع، حيث تمكن من هزيمة الإفرنج بمساعدة قائده واضح الفتى وذلك بشن غارات عليهم نواحي طليطلة، كما أن حاكم قشتالة الذي فر من أخيه شانجة بعد نزاع حدث بينهما، حيث اتجه نحو طليطلة لاجئا إلى المأمون لو أن هذا الأخير لم يكن صاحبة مكانة رفيعة وصاحب قوة عظمى لما لجأ إليه ألفونسو.[2]

ويذكر أن خلال فترة بقاء ألفونسو بمدينة طليطلة أخذ يبحث عن أماكن القوة والضعف بالمدينة حتى يتمكن من خلالها من القضاء على حكمها وضمها إليها، لكن هذه الفكرة لا تبدو صحيحة لأن طليطلة لم تكن من المدن التي يسهل الاستيلاء عليها وأن ألفونسو استفادة من تواجده بالمدينة لأنه اطلع عليها ورأى ما بها.[3]

يعتبر المأمون من أكبر مؤيدي المظفر بن عباد بن منصور بن عبد العزيز بن أبي عامر حاكم بلنسية وصهره زوج إبنته، وبالرغم من تأييد المأمون للمظفر إلا أن هذا الأخير لم يكن كغيره من الحكام الذين لهم اهتمام بدولتهم والأمور المحيطة بها، وفي سنة 457هـ/1065م توجها المأمون إلى بلنسية راغبا بها وكان ذلك بعلم ابن العزيز.

لم تكن رغبة المأمون بالسيطرة على بلنسية إنتقاما من إبن العزيز بسبب إهانته ومعاملته السيئة لأبنته فلو كان ذلك صحيحا لما إنتظر المأمون حتى تتوفى إبنته، بل كان يعرف أن إبن العزيز لن يحافظ على المدينة ضد الطامعين بها، خاصة بعد الحركات التوسعية في هذه الفترة ورغبته الشديدة في التوسع، هنا إلتمس المأمون ضعف حاكم بلنسية[4] التي إلتقت برغبته في بسط نفوذه التوسعية.

[1] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص137.

[2] ابن بسام الشنتريني، المصدر السابق، ج1، ص41.

[3] ابن الأبار، الحلة السراء، المصدر السابق، ج2، ص 129.

[4] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص303.

بعدما قدم المأمون إلى بلنسية إلى الزيارة إستقبله عبد الملك وأدخله قصره، وبقي المأمون في حالة ضيافة عدة أيام وفي اليوم الثامن من ذي الحجة سنة 457هـ/1065م قبض المأمون على عبد المالك ونفاه خارج بلنسية مع إبنه.[1]

أصبحت بلنسية تابعة لحكم المأمون، أما أبو عبد الله محمد إبن عبد العزيز الوزير فقد عينه المأمون حاكما على بلنسية وتبعه ابنه أبو بكر الذي استقل بحكم المدينة عن بني ذي النون فيما بعد[2]، ونظرا لحملة المأمون التوسعية كان يسعى إلى توحيد الأندلس تحت حكمه حيث كانت تصل إليه بعض العروض من قبل بعض الحكام القواد بمقايضته لبعض المدن مقابل طلب المساعدة.

ومن بين العروض التي قدمت إلى المأمون نجد طلب باديس في أن يعينه على المعتصم، كان باديس يحاصر واد آشر وكان بحاجة إلى المعونة العسكرية[3]، ومقابل هذا يحصل المأمون على أماكن ومواضع من بلاد ابن صمادح لابن المأمون طلب باديس حيث شدد الحصار على واد آشر، وأمام هذا إستسلم أهل الوادي وراسلو المأمون إبن ذي النون أن يشفع لهم عند باديس والخروج من المدينة وتسليمها له.

طلب المأمون من باديس الموافقة على أهل الوادي وحصل المأمون على بسطة[4]، التي خيرها بعد إنجازه مع باديس[5]، وهذا ما يثبت لنا مكانة المأمون بن ذي النون الرفيعة في الأندلس، حيث أطلق عليه بعض المؤرخون لقب عظيم ملزك الأندلس سنة 460هـ/1068م.[6]

---

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 232.

[2] نفسه، ج4، ص235.

[3] نفسه، ج4، ص236.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص41.

[5] بسطة: مدينة من أعمال جينان ينسب إليها مصلبات البسطة وهي جنوب طليطلة. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص501.

[6] ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص42.

كما عرض العزيز بن إسحاق بن محمد بن عبد الله البرزالي حاكم قرمونة[1] على المأمون أن يبعد المعتضد عن طريقه مقابل تنازله عن قرمونة وميع بلاده مقابل بلاد أخرى للمأمون، وتم ذلك فعلا ولكن بعد هذه الحادثة لم يبقى من بني برزل أحد.[2]

بعد ما أثبت المأمون ملكه على قرمونة أتى إليه حاكم إشبيلية طالبا منه ترك المدينة المذكورة لأنها قريبة منه وبعيدة عن المأمون، مقابل الوقوف بجانبه للسطرة على قرطبة.

توجه المأمون سنة 462هـ/1029م إلى قرطبة وكان في تلك الفترة عبد الملك بن جهور حاكما على المدينة، وبعدما عرف عبد الملك بقدوم الملك طلب المساعدة من حليفه إن عباد حاكم إشبيلية[3]، تحرك العباد إلى قرطبة بجيشه ووقعت الحرب بينه وبين المأمون بن ذي النون الذي انسحب إلى طليطلة.

أظهر المأمون حقده على بني عباد وذلك لغدرهم له، أبدى إبن عكاشة بعدما اتصل هذا الأخير بالمأمون وأخبره أنه يستطيع إبادة حكم ابن العباد من قرطبة، وافق المأمون على طلب ابن عكاشة وتوجه إلى المدينة وتمكن من نفوذها، واصل المأمون سيره بخيله صوب سكن الأميران عباد دون أن يشعر به أحد، ودار ابن جهور وسراج الدولة صراعا انتهى بمقتل سراج ثم توجه إلى دار ابن هود الذي وجده في حالة سكر فقتله.

بعد السيطرة على المدينة أعلن حكم بن عكاشة تأييده لدوعة بني ذي النون، ثم خاطب المأمون بذلك زما إن سمع المأمون ذلك قدم من بلنسية ووصل إليها في الخامس والعشرين من جمادى الأول سنة 467هـ/1075م، وما إن تمكن المأمون من قرطبة بدأ يفكر في الخلاص من حكم بن عكاشة[4]، وصل الأمر لابن عكاشة فبدأ هو الأخير في القضاء على المأمون.

---

[1] مجهول، المصدر السابق، ص182.

[2] قرمونة: كورة يتصل أعمالها بأعمال إشبيلية غرب قرطبة قديمة البنيان. ينظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص375.

[3] عبد المجدي نعنعي، المرجع السابق، ص193.

[4] ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص177.

لم يكمل المأمون حركته التوسعية حيث قتل مسموا في اليوم الثامن عشر من ذي القعدة سنة 467هـ/1075، بعد حكم دام ثلاثة وثلاثين سنة لمدينة طليطلة، أما فيما يخص من سمم المأمون لم تذكر المصادر أن السم كان قريبا من ابن عكاشة وبموت المأمون إستعاد بني العباد قرطبة[1].

شهدت مدينة طليطلة حالة من الهدوء والاستقرار الداخلي كما عرفت حركة توسعية إبان فترة حكم المأمون، كما عرفت هذه الفترة بعدل حاكمها وحسن تسييره وتنظيمه للمدينة كما حصلت على مكانة رفيعة بين المدن الأندلسية.

كان المأمون رجل سياسة وإدارة هذا ما ساعده في حملته التوسعية، بالرغم من انشغاله بالأعمال والحروب الخارجية إلا أنه لم يكن على غفلة من إدارة الشؤون الداخلية لدولته[2]، حيث قسم أمور دولته إلى قسمين قسم خاص بتدبير الأجناد والشؤون السلطانية والأعمال الديوانية أما القسم الثاني ينظر في الشؤون الخاصة بالرعية وشؤون البلاد[3]، وخلال حكمه ارتقت مدينة طليطلة إلى مصاف كبار المدن وممالك الطوائف كما نلمس أن أهل طليطلة شعروا أن مدينتهم آلت إلى ما كان عليه للمكانة.

بعد وفاة المأمون توى الحكم بعده حفيده يحي الذي أوصاه بالتمسك بإبن الحديدي حين توليه أمر الدولة، وأوصى كذلك إبن الحديدي بشد أزر يحي، لقب يحي بعد فاة جده بالقادر[4].

يذكر أن هذا الحاكم عرف بالضعف وقلة المعرفة وعدم العزم وسوء الرأي وضعف الشخصية غيرها من الصفات السيئة، وتعود هذه الأمور إلى نشأت القادر حيث كان يعيش حياة ترف بعيدة عن الأمور الجادة، فقد تربى في حجور النساء وشأ بين الخصيان كما أنه كما أنه كان ملازما لمرض في معدته[5].

---

[1] ابن الخطيب، أعمال الأعلام، المصدر السابق، ص178.

[2] ابن غذارى، المصدر السابق، ج3، ص273.

[3] ابن بسام، المصدر السابق، ج1، 150.

[4] نفسه، ص151.

[5] ابن الخطيب، المصدر السابق، ص178.

ومن هنا لم يكن القادر مهيئا لحكم طليطلة وقد دق أول مسمار نعش لمدينة طليطلة منذ توليه الحكم، تمثل هذا في تخليه عن الوزير ابن الحديدي بعدما أشار إليه بعضا من المفسدين أنه لن يستقيم حكمه إلا بقتل إبن الحديدي.[1]

لم يلبث ابن الحديدي طويلا مع القادر، حيث تخلص منه بمساعدة جماعة من أعيان طليطلة وذلك سنة 468هـ/1076م[2]، وبمقتل ابن الحديدي تغير حال طليطلة بشكل سريع، حيث ظهرت ثورة غالب بطليطلة وظهرت فتنة عظيمة كما انقسم الناس إلى أحزاب متعددة.[3]

أثرت هذه الثورة على المدينة بكاملها واختلطت أحوالها الداخلية مع الخارجية بشكل كبير، كما أن القادر لم يكن يدافع عن أراضيه خاصة التي استولى عليها ألفونسو بشكل متتابع بل أخذ القادر يجمع الأموال التي طلبها منه ألفونسو لإعانته ععلى أهل بلدته.

وفي هذه الفترة كان أبو يوسف بن الفلاس البطليوسي متواجدا بطليطلة وقد أشار على أهل طليطلة بالمتوكل عمر بن المظفر ابن الأفطس حاكم بطليوس بأنهم يستطيعون القضاء على أي أمر يريدونه، أرس أهل طليطلة سفيرهم إلى ابن الأفطس يطلبون إليه القدوم، دخل المتوكل طليطلة سنة 472هـ/ 1079م، وبالرغم من وجود حاكم جديد إلا أن الأوضاع لم تتغير بطليطلة، وفي هذه الفترة كان القادر يبحث عن معين له ووجد ضالته عند ألفونسو.

لبى ألفونسو طلب القادر وجهز جيشه وتوجه مع القادر نحو طليطلة وأقام حصارا شديدا عليها إنتهى بفرار المتوكل إلى بلده بعد عشرة أشهر من دخوله المدينة وذلك سنة 474هـ/1081م.[4]

بالرغم من مساعدة ألفونسو للقادر إلا أن دخوله إلى طليطلة لم يكن بالسهل كما كان يعتقد، عرف أهل طليطلة بالشدة كما أنهم أصحاب مواقف صلبة فقد حاولوا قتل القادر وثاروا ضده وخرجوا عن طاعته.

---

[1] ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص150

[2] نفسه، ص 150.

[3] نفسه، ص 154-155.

[4] نفسه، ص 159.

لم تتضح طريقة دخول القادر لطليطلة إلا أن في المصادر قدومه ودخوله المدينة، أما الأمر البارز هو خضوعه لألفونسو وذلك بدفعه أموالا كثيرة له، واختلفت الروايات حول هذا الأمر فبعض المصادر تذكر لنا أنه أعطاه كل أحوال طليطلة وفي مصدر آخر يذكر أن القادر أحضر جميع الذخائر الموروثة عن أبيه وجده لألفونسو.

ولد هذا الأمر كرها شديدا من قبل أهل طليلطة للقادر[1] فمنهم من ذهب ابن هود كما ثار عدد من أهل المدينة ضده في ذي الحجة من سنة 474هـ/1081م ويظهر من خلال هذا أنه هنالك عدد كبير من المعارضين لحكم القادر كما تزايدت أطماع النصارى الحالمين لإرجاع ملكهم وأيضا الأمراء الراغبين في ضم أجزاء من طليطلة ويعود هذا لصفت القادر.

ومن الطامعين لضم أجزاء من طليطلة لحكمهم نجد حاكم إشبيلية الذي كان بينه وبين المأمون تنافسا في الحصول على قرطبة وبعد وفاة المأمون ضم سائر أعملها، بالإضاف إلى عباد حاكم سرقسطة وابن هود الذي قام بحركات ضد طليطلة بهدف إسقاط ملك ذي النون، حيث هاجم القادر مباشرة وقام بشن غارات على المدينة.[2]

امتازت حروب ابن هود ضد القادر بالشدة حيث ركز غاراته على طليلطة، استعان بابن ردمير ضد القادر كما استطاع ابن ردمير السيطرة على بعض المدن منها شنترية وملينة، كما حرض ابن هود أبا بكر ابن عبد العزيز والسي بلنسية على التفرد بحكمها، وفعلا استقل أبا بكر بحكمه سنة 468هـ/1075م عن تباعية طليطلة بالرغم من أنه كان واليا عليها منذ زمن المأمون[3]، كما حصل ألفونسو على قورية مقابل مساعدته للقادر.

[1] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 305.

[2] علي ابن زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م، ص 168.

[3] القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص 203.

ساءت الأحوال في طليطلة ولكل ما كان يدور حولها، وبقي حاكمها ساكنا دون ردة فعل ويبدوا أن الأوضاع قد وصلت لألفونسو بواسطة جواسيس داخل المدينة أو عن طريق النصارى الماكثين بها، بعد أن صلت أخبار المدينة المتدهورة لألفونسو بقي يتابعها ويلازمها حتى لا تسقط في أيدي المسلمين.

ضغط ألفونسو على طليلطة وأعانه عليها قريبه هيو الأول دوق برجنديا وأيضا زادت طموحات المسلمين المجاورين لها، أضحة سقوط طليطلة وشيكا خاصة بعدما أعاد ألفونسو القادر إلى الحكم.

أخر ألفونسو الإستلاء على مدينة طليطلة منذ عام 474هـ/1081م إلى 475هـ/1082م لأنه كان على يقين بأنه سوف يستولي عليها، خطب ألفونسو البابا لإعادة كرسي رئيس أساقفة اسبانيا لطليطلة، ويقال أيضا أن تأخير ألفونسو السيطرة على المدينة كان عبارة عن استفزاز لملك الطوائف التي أصبحت رسلهم لا تنقطع عنه.[1]

أما فيما يخص القادر والحالة التي وصل إليها قرر منح طليطلة لألفونسو بدل إعطائها لأحد الأمراء المسلمين[2]، لم يكن ضغط ألفونسو على طليطلة هو السبب الرئيسي والمباشر وإنما ضعف وتخاذل أميرها إضافة لحال ملوك الطوائف الذين بلغو درجة الهوان والضعف ما جعلهم بتسارعون لطلب رضى ألفونسيو وتقديم الأموال الطائلة له مقابل إبقائهم على حالهم.

وبخصوص هذا صور لنا ابن بسام الشنتريني من هذا الحال حيث قال: "فأدخل على الأذفوش يوم إذن منهم جماعة- من أهل طليطلة- فوجدوه يمسح الكرى من عينيه، ثائر الرأس، خبيث النفس، وجعلوا ينظرون إليه وهو يضغث ثغامة رأسه ... ثم أقبل عليهه بوجه كريه... وقال لهم: إلى متى تتخادعون وبأي شيء تطمعون؟ قالوا: بنا بغية، ولنا فلان وفلان أمنية، وسموا له بعض ملوك الطوائف، فصفق بيده، وتهافتت حتى فحص برجليه، ثم قال: أين رسل ابن عباد؟ فجيء بهم بثياب الخناعة، وينسبون بألسنة السمع والطاعة قال لهم: منذ كم تحومون علي، وترمون الوصول إلي؟ ومن

[1] عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 293.

[2] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 304. بتصرف

عهدكم فلان، وأين ما جئتم به لا كنتم ولا كان؟ فجاؤوا بحملة ميرة وأحضروا بين بدية كل ذخيرة خطيرة، ثم ما زاد أن ركل ذلك برجليه، وأمر بإنتهابه كله، ولم يبقى ملك من ملوك الطوائف إلا أحضر يومئذ رسله، وكانت حاله حال من كان قبله، وجعل أعلاجه يدفعون في ظهورهم، وأهل طليطلة يعجبون من ذل مقامهم ومصيرهم فخرج مشيخها من عنده وقد سقط في أيديهم...".[1]

لخص لنا هذا النص الحالة المزرية التي وصل إليها المسلمون، فبدل أن يتعاونوا ضد عدوهم المشترك قاموا برفع شأنه ضد أنفسهم، ومن البديهي أن هذا الحال سوف ينتج عنه هزيمة المسلمين ونهاية الأمر أن مدية طليطلة سقطت بعد حصار دام أكثر من تسعة أشهر على يد ألفونسو بعد اتفاق بينه وبين القادر مقابل أن يمكنه من بلنسية وأحوازها، وإعطائه طليطلة كما حدث اتفاق بينه وبين أهل طليطلة على العديد من الأمور من بنيها أن يعطي الأمانة لأهل طليطلة على أنفسهم ومالهم وأيضا عدم إلزام من بقي بطليلطة سوى بالجزية واحتفاظ المسلمين المقيمين بطليطلة بتطبيق شريعتهم وتقاليدهم والاحتكام لقضائهم مع احتفاظ المسلمين بمسجد طليطلة الجامع مع تقديم أهل طليطلة عددا من أعيانهم كرهائن، وبهذا وافق أهل طليلطة بتسليم المدينة.[2]

وفي سنة 478هـ/1085م سقطت مدينة طليطلة المسلمة بأيدي النصارى، تعد هذه السنة سنة فاجعة بالنسبة للمسلمين، كما اختلف المؤرخون حول تحديد اليوم والشهر بين روايتي: أولها في الشهر العاشر من محرم[3]، أما الثانية تذكر أنها في بداية شهر صفر.[4]

ساعدت عدة عوامل أساسية لسقوط مدينة طليطلة استغلها ألفونسو لصالحه من بينها تدهور الأوضاع الاقتصادية للمدينة، كما ساءت أحوال أهل المدينة خاصة الاجتماعية من فقر وضعف وتشتت أمر المسلمين بالمدينة، وأبرز الأسباب ضعف حكامها القادر الذي سهل الأمر لألفونسو بالسيطرة عليها دون مشقة.

[1] ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 166.

[2] المقري، المصدر السابق، ج6، ص 84-85-86.

[3] الحميري، المصدر السابق، ج1، ص 135.

[4] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج5، دار الصادر، بيروت، ص 27.

من خلال ما حدث لطليطلة نستنتج أن الفونسو كان صاحب خطة طويلة عريضة، تمكن من خلالها السيطرة على أجزاء كبيرة من الأندلس، حيث مكنته طليطلة بحكم موقعها من الاستحواذ على العديد من الأراضي المجاورة لها والممتدة من واد الحجارة إلى طلبيرة وفحص اللج وأعمال شنترية كلها.[1]

أما فيما يخص من حكم مدينة طليطلة بعد سقوطها فقد ولي عليها "شنشد" أحد مساعدي ألفونسو، حيث أظهر نوعا من العدل واليسر مع أهل المدينة، وبالنسبة للقادر كان آخر حاكم مسلم لطليلطة وتوجه لحكم فلانسية، حيث سرد لنا ابن بسام حالته أنه خرج خائبا مم تمناه مذال الحرمة.[2]

قبل أهل فلانسية بالقادر حيث أنه كانوا مرغمين على ذلك خوفا من أن ينصب بالقوة من قبل ألفونسو، وقبل أن يحكمها القادر حكمها أبو عمر وعثمان بن أبي بكر محمد ابن عبد العزيز.

ثار على القادر القاضي ابن حجاف ووقع بيده كما أمر بقتله وتولى ذلك فتى من بني الحديدي انتقاما لقتل الوزير أبي بكر بن الحديدي، رميت جثة القادر وعلق رأسه ببلانسية، انتهت حياة القادر سنة 481هـ/1088م.[3]

يعتبر سقوط المدينة مثل فاشعة للمسلمين (الملحق رقم 04)، كما يعدانهيارها مثل الصفعة بالنسبة لملوك الطوائف وإدراكهم أن ألفونسو يطمع للإستيلاء على جزيرة الأندلس كلها وليس طليلطلة فقط وبهذا الصدد فيما يخص سقوط طليلطة قال أحد الشعراء:

حثوا مطاياكم عن أرض الأندلس فما المقام بها إلا من الغلط

فالثواب ينسل من أطرافهم ورأى ثوب الجزيرة مسولا من الوسط

سرد الشاعر هذه الأبيات وهو يصور بأن طليطلة بالرغم من حصانتها سقطت فلم يبقى للمسلمين سوى مغادرة الأندلس.

---

[1] ابن بسام، المصدر السابق، ج1، ص 127.

[2] نفسه، ص 127.

[3] ابن عذارى، المصدر السابق، ج3، ص 305.

ظهرت بعد حادة سقوط المدينة ظهور حركة الجهاد الإسلامية بقيادة المرابطين والموحدينكان هدفها توحيد المسلمين بالأندلس واستعادة مدينة طليطلة، بالرغم من هذه المحاولات إلا أنهم لم يتمكنوا من استعادتها ومن بين المحاولات:

- محاولة عبور يوسف ابن تاشفين من المغرب إلى الأندلس سنة 483هـ/1090م وكانت محاولة حصار طليطلة واكتساح أطرافها.

- وصول علي بن تاشفين سنة 403هـ/1009م لطليطلة وقام الحرب عليها لثلاثة أيام، ووصفت هذه الحرب بأنها الأقوى في هذه المرحلة.[1]

- ظهور حملة بقيادة كبار المرابطين الأمير مزدلي بن سلنكان سنة 407هـ/1113م وانتهت بفشل ذريع.

- غزوة بن أبي بكر بن علي بن يوسف بن تاشفين، ونجد محاصرة يوسف بن عبد المؤمن لطليطلة ورغبته في استرجاعها.[2]

وبالرغم من كل هاته المحاولات لم يتم استرجاع المدينة الإسلامية حيث استمرت هذه المحاولات من سنة 92هـ/711م إلى عام 478هـ/1085م.

بعدما ظهرت حركة الجهاد الإسلامية ترك ملوك الطوائف خلافاتهم وتوجهت أنظارهم إلى المرابطين لنصرتهم ولذلك ورد في قول ابن كردبوس حيث قال: "ولما تيقن كل ثائر، ورأس ولاسيما رؤوس غرب الأندلس كإبن العباد والأفطس، مذهب ألفونش فيهم، وأنه لا ينفع منهم بجزيته ولا هديته، رأوا أن الرجوع إلى الحق أحق فاستصرخوا بالمرابطين، واستنصروا بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين".[3]

كان هذا موقف ملوك الطوائف أما بالنسبة للعامة فكان موقفهم بعد سقوط المدينة التي أثرت في نفوس المسلمين وكانت لهذه الحادثة وقعة على نفسيتهم وممتلكاتهم الأمر الذي جعلهم يستفيقون من

[1] ابن الأبار، المصدر السابق، ج2، ص 90-91.

[2] المقري، المصدر السابق، ج6، ص 222.

[3] ابن كردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صالح بن عبد الله الغانمي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، 2008، ص 89.

سباتهم وأيضا تزعم العلماء والفقهاء في الأندلس حركة استنهاض المرابطين في المغرب لنجدتهم بحكم أن مدينة طليطلة تتوسط الأندلس فبسقوطها سيؤثر حتما على باقي المدن كما سيشكل خطرا على الحكم الإسلامي بها، وبعدها بدأت الإستعدادات لواجهة النصارى تحت راية يوسف ابن تاشفين، فوصل عددهم قرابة أربعة وعشرين ألفا.[1]

ومجمل القول يمكننا أن نقول إدراك ملوك الطوائف حجم الخطيئة التي ارتكبوها، وذلك بمجاراتهم لأنفونسو، كما أيقنوا أن الدائرة عليهم لذا سارعوا بطلب العون من المرابطين لإنقاذهم من ألفونسوا، ويتضح أن سقوط طليطلة في يد النصارى تعد نكبة إسلامية في العصور الوسطى، وظهور مرحلة جديدة تمثلت في عملية استرداد النصارى للأندلس.

يمكننا أن نلتمس أن ظهور الحركة الجهادية الإسلامية كان لها أثر إيجابي ولو أنها لم تنجح لكنها عملت على إيقاف الحركة التوسعية النصرانية ولو لحين.

[1] مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1979، ص 456.

خاتمة

من خلال ماتطرقنا إليه سابقا توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات عن مدينة طليطلة والتي تمثلت في مجموعة من النقاط التالية:

– مساهمة الموقع الجغرافي لمدينة طليطلة في حمايتهاوحصانتها طبيعيا، كما أدى دورا أساسيا في المحافظة عليها من الاعتداءات الخارجية.

– تأثير الموقع الجغرافي الكبير في سير معظم الأحداث التاريخية، وهذا ما تؤكد بعض الوقائع خاصة في عصر الإمارة (138هـ/755م).

– التنوع البشري والثقافي للمدينة جعل منها عاصمة للديانات الثلاثة: الإسلام، المسيحية، اليهودية.

– التركيبة السكانية المتنوعة لطليطة (عرب، بربر، أهل الذمة، الصقالبة، المولدون)، ساهمت هذه التركيبة في بروز النزعة الانفصالية ونشوب العديد من الثورات التي أثرت سلبا على المجتمع الطليطلي.

– الخصائص الاقتصادية المتنوعة للمدينة والتي جعلت منها قوة اقتصادية في شبه الجزيرة الايبيرية كما توفرت بطليطلةالعديد من الخيرات الطبيعية كانت سببا في تطورها، كما أصبحت وجهة للتجار والحرفيين ويعود هذا إلى توفر الأمن بالمدينة ودعم حكامها للحركة الاقتصادية.

– أثبتت مدينة طليطلة مكانتها الاقتصادية خاصة في الجانب الزراعي، كما رفضت المدينة علاقات اقتصادية ومبادلات تجارية بين المدن المجاورة، وتصدير منتوجاتها الزراعية إلى خارج بلاد الأندلس ويعود هذا إلى جودتها.

– إتصاف أهل مدينة طليطلة بالذكاء والنباهة والقدرة على التحمل، هذا ما مكنهم من إدارة شؤونهم الخاصة وجعل أنفسهم سادة على مدينتهم.

– تحصيل المدينة وتعزيزها بالقوة العسكرية كان من بين أهم الأعمال التي قام بها جميع أنظمة الحكم الأموي وهذا لحمايتها من الخطر الخارجي.

– حفاظ أهل مدينة طليطلة على مدينتهم طوال فترة الفتنة إلى غاية إنهيار الخلافة الأموية سنة (422هـ/1030م)، وتزعمها المدن الأندلسية بعد قرار الفتنة.

– اهتمام أهل طليطلة بشؤونهم الداخلية زمن الفتنة، كما ظلت بعيدة عن الثورات والنزاعات منتظرة بذلك ما ستؤول إليه الأمور.

– بروز أسرة بني ذي النون كواحدة من الأسر وإنشاء مملكة من أكبر ممالك الطوائف.

– الدور الهام الذي لعبته عائلة بني ذي النون في بلاد الأندلس منذ الفتحّ إلى غاية قيام دولتهم بطليطلة.

– انعدام ثورات والعصيان في بعض الفترات في المدينة، وذلك بعد استقلال أهل المدينة الحركة الجهادية وظهر هذا خلال فترة الخلافة وعهد بني ذي النون.

– دعم الحركات التننظيمية الداخلية بطليطلة للحملة التوسعية التي شنها المأمون، كما ساهم اقتصاد المدينة في نجاح هذه الحملات.

– نجاح ألفونسو في الإطاحة بحكام مدينة طليطلة، وظهر ذلك بتتبع أخبار المدينة وأحوالها ومحاولة السيطرة على أموالها وممتلكاتها.

– من خلال موضوع البحث الذي تطرقنا إليه يظهر لنا أن سبب سقوط مدينة طليطلة ليس في كون أن من حكموها ضعفاء، بل يعود السبب إلى عدم تلاحم حكام وملوك الأندلس المسلمين مع بعض، وأيضا نجد تزايد الأطماع التوسعية لهؤلاء الملوك وهرولة إلى طلب المساعدة من الملوك النصارى.

– نكبة المسلمين الكبرى بعد سقوط طليطلة، خاصة بعدما وهبها القادر ذي النون للحاكمألفونسو، بدل أن يعطيها لأحد الملوك المسلمين وهذا يبين لنا زوال قوة المسلمين بالأندلس.

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة مدن الأندلس.[1]

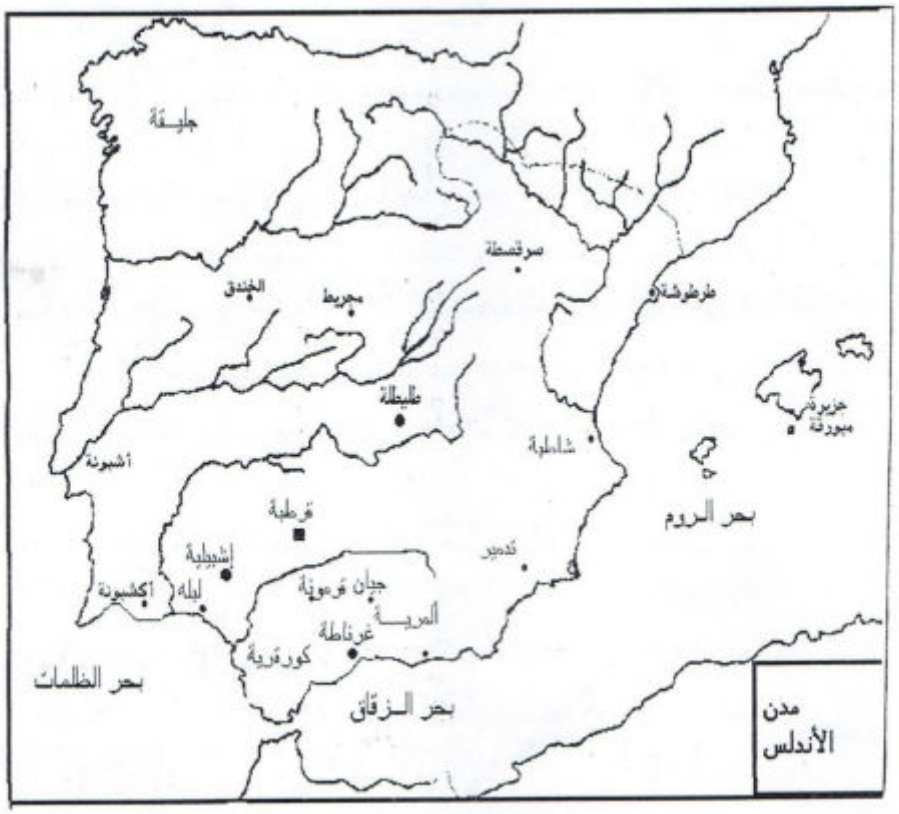

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 529.

الملحق رقم 02:خريطة مرسومة باليد توضح الموقع الجغرافي لطليطلة.[1]

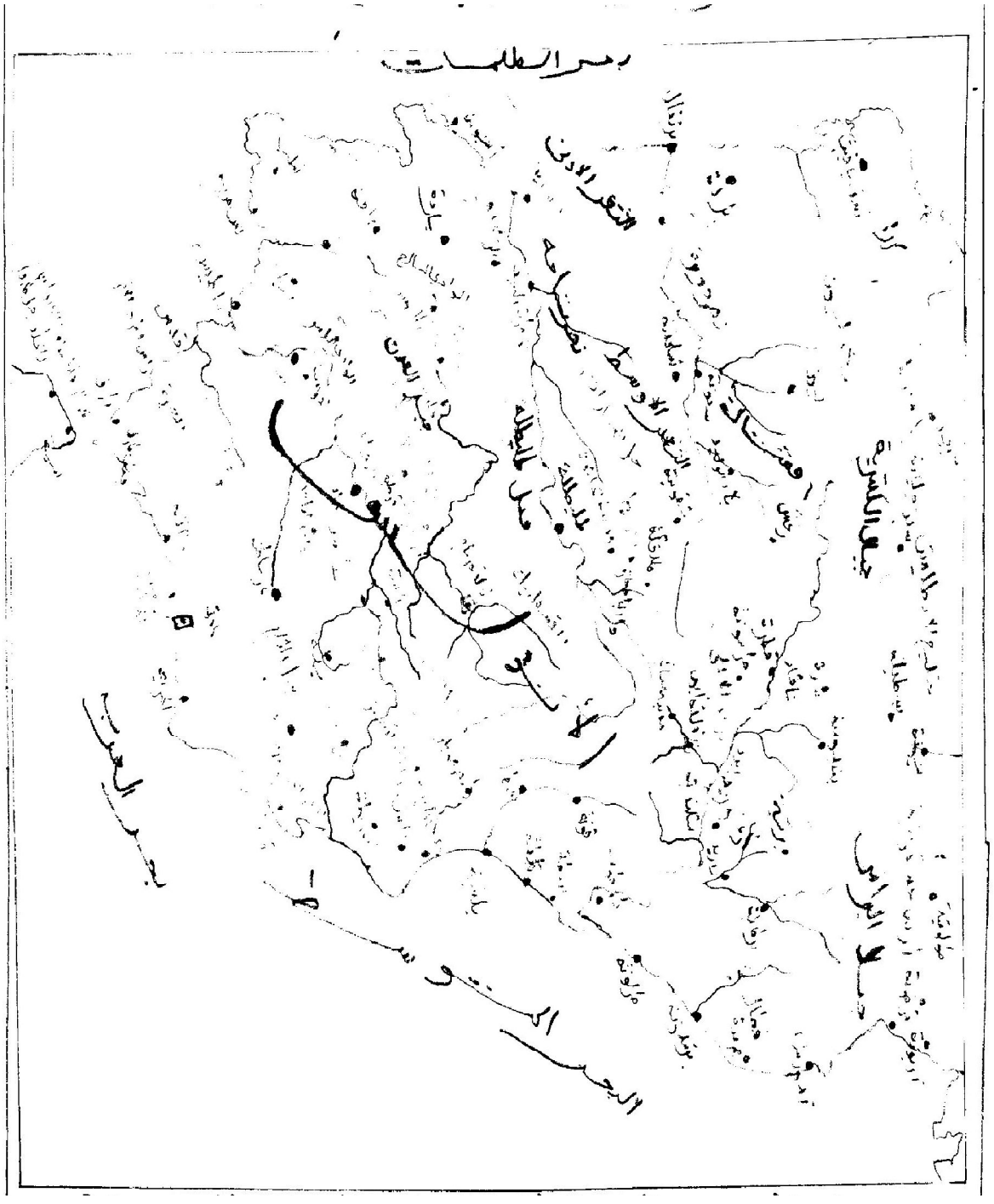

[1] حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، المرجع السابق، ص 531.

الملحق رقم 03: طليطلة في عهد الإمارة الأموية.[1]

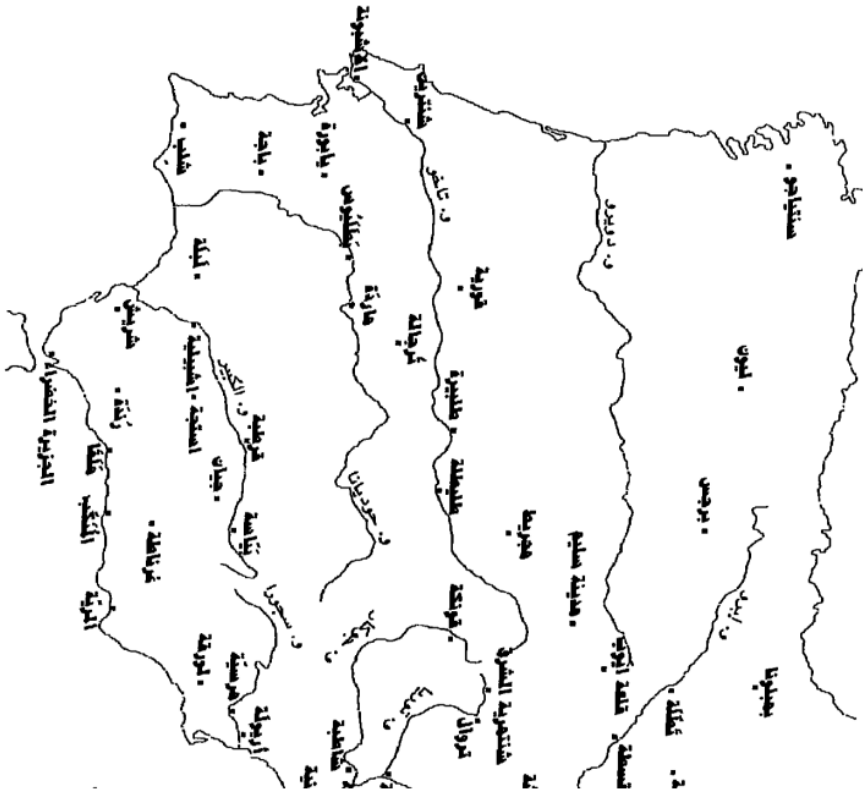

[1] السرجاني راغب، قصة الأندلس، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 1436هـ/2010، ص 385.

الملحق رقم 04:جدول زمني لقادة وحكام طليطلة.

سنة الحكم والوفاة	الحاكم (القائد العام)	أعماله	المصدر
409هـ_419هـ 1018-1028م	يعيش بن محمد بن يعيش الأسدي	تولى الأحكام وصار غليه تدبير الرئاسة	_ ابن بشكوال ،المصدر السابق ،ص529
419هـ_427هـ 1028م_1036م	عبد الرحمان بن متيوه ،عبد الملك بن متيوة	/	ابن عذارى ،المصدر السابق ،ج3،ص196
427هـ_429هـ 1036م_1037م	إسماعيل بن عبد الرحمان ذي النون "الظافر "	أول الثوار لمفارقة الجماعة ساسة أهل مملكته بطريقة سلسة استقاموا عليها	ابن الخطيب ،المصدر السابق ،ص177
429هـ_467هـ 1037م_1075م	يحي بن إسماعيل بن عبد الرحمان بن إسماعيل "المأمون "	غزى بلنسية منازعات بينه وبين سليمان بن هود	ابن خلدون ،المصدر السابق ،ج4،ص161
467هـ_478هـ 1075م_1085م	يحي بن إسماعيل بن المأمون "القادر"	تسليم مدينة طليطلة سنة 478هـ	نفسه

من إعداد الطالبة

الملحق رقم 05:الجدول الزمني لمحاولة استرجاع طليطلة

السنة	القائد العام	قائد الجيش	وصف الحدث	المصدر
483هـ_1090م	يوسف بن تاشفين	يوسف بن تاشفين	حاصرها وخرب أحوازها وسبى	ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص153
493هـ_1099م		يحي بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سير بن أبي بكر مُحَمَّد بن الحاج	حاصروها وشنوا الغارات على نواحيها	ابن كردبوس ،المصدر السابق ،ص109
500هـ_1106م		مُحَمَّد بن أبي زلفى عبد الله بن الحاج	غزا طليطلة وأوقع بالنصارى	ابن أبي زرع ،المصدر السابق ،ص158
503هـ_1109م	علي بن يوسف	علي بن يوسف	قصد طليطلة ونزل على بابها ،وانتشرت جيوشه داخل بلاد المشركين ،فتح من أحواز طليطلة 27حصنا	ابن عذارى ،المصدر السابق ،ج4،ص52

من إعداد الطالبة

الملحق رقم 06: خريطة سقوط طليطلة.[1]

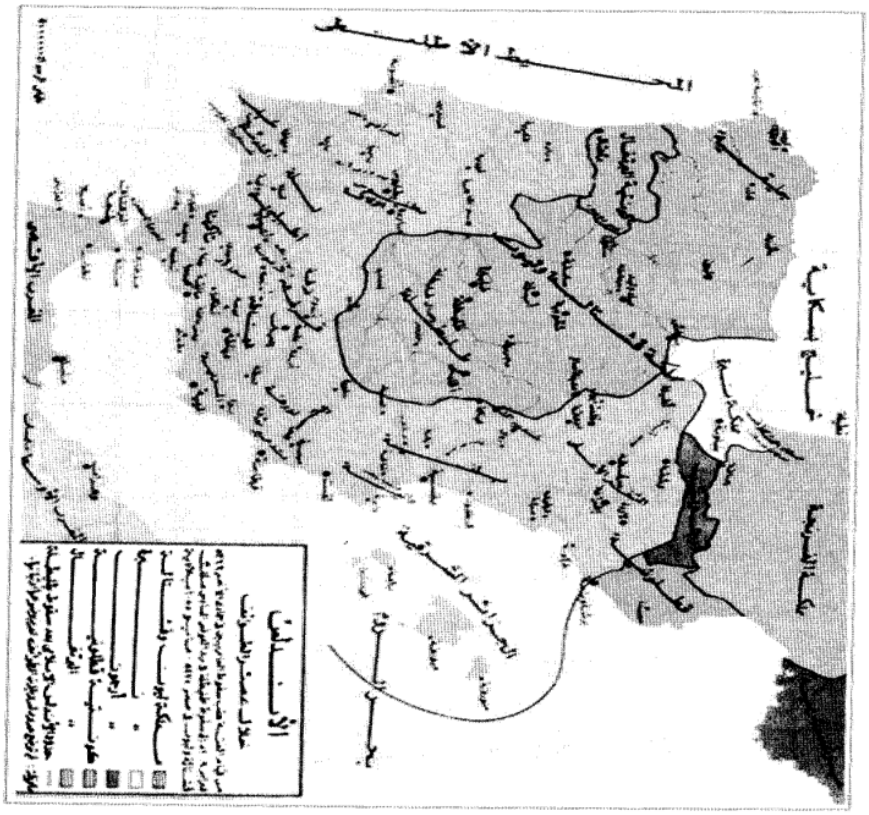

[1] السرجاني راغب، المرجع السابق، ص 457.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأحاديث النبوية الشريفة.

أ- المصادر:

1. ابن الابار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت 258هـ)، الحلة السراء، تح: حسين مؤنس، ج2، دار المعارف، بيروت، 1985.
2. ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج1، نشره وصححه السيد عزة العطار الحسيري، مطبعة السعادة، مصر، 1375هـ/1900م.
3. ابن الأثير أبو الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشياني (ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، تح: أبي الفداء عبد الله قاضي، ج6، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.
4. ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المقرب بروض القرطاس في أخبار ملوك العرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة، الرباط، 1972م.
5. ابن العوام، كتاب الفلاحة، تر: دون جوزيف أنتونيو أنكيري، ط1، مدريد، 1802م.
6. ابن بسام الشنتريني (ت 543هـ/1148م) ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح: إحسان عباس، ج2، دار الثقافة، 1997م.
7. ابن بصال الطليطي عبد الله محمد إبراهيم (عاش في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر ميلادي)، كتاب الفلاحة، تر: خوسي ماريا بيكروسا، محمد عزيمان، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1955م.
8. ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن سعيد (ت456هـ/1036م)، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1418هـ/1988م.
9. ابن حزم الأندلسي، رسائل إبن حزم الأندلسي، تح: إحسان عباس، ج2، ط1، المؤسسة العربيةللدراسات والنشر، بيروت، 1981م.
10. ابن حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت 439هـ/1076م)، المقتبس في أخبار الأندلس، تح: عبد الرحمان علي حجي، دار الثقافة للنشر والتوزيع،ى بيروت، لبنان، د س.

11. ابن حيان، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تح: عبد الرحمان علي حجي، المكتبة الأندليبة 4، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، د س.
12. ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ/1405م)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مر: سهيل زكار، ج4، ط1، 1981م.
13. ابن خلدون، المقدمة، مجلس المعارف ولاية سوريا الجليلة، بيروت، ط3،ج1، 1900م.
14. ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت 681هـ/1282م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، ج5، دار الصادر، بيروت.
15. ابن عذارى المراكشي (كان حيا 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأنجلس والمغرب، تح: ليفي بروفينسال، ج1، ج2، ج3، ج4، دار الثقافة، بيروت، 1980م.
16. ابن كردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح: صالح عبدالله الغالدي، ط1، ج1، الجامعة الإسلامية للمدينة المنورة، 2008م.
17. ابن منظور (630هـ/1232م- 711هـ/1311م)، لسان العربّ، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، مج 1، ج1، دار المعارف، القاهرة. د س.
18. ابو الفداء (ت 704هـ/1304م)، تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840م.
19. أبي قاسم خلف بن عبد الملك المعروف بإبن بشكوال، الصلة بتايخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، صححه السيد عزة العطار الحسيني، ج2، ط2، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، 1414هـ/1994م.
20. الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن إدريس الحمودي الحسني (ق6)، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تح: إسماعيل العربي، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية للنشر الجزائر، د ت.
21. الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، القاهرة، 2002.

22. الأصطخري، المسالك والممالك، تح: محمد جابر عبدالله الحيني، د ط.
23. البكري، جغرافية الأندلس وأوروبا، تح: عبد الرحمان علي حجي، ط1، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، 1387هـ-1968م.
24. الحميري محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت 750هـ/1349م)، صفة جزيرة الأندلس، منخبة من كتاب الروض المعطاء، تح: ليفي بروفينسال، ط2، دار الجيل، بيروت، 1988م.
25. الذهبي شمس الدين محمد بن عثمان (ت 748هـ/1347م)، سير أعلام النبلاء، تح: نذير حمدان، ط1، مؤسسة الرسالة، 1996.
26. الزهري أبي بكر (ت بعد 541هـ/1154م)، الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مج 1، مجلة الدراسات الشرقية، دمشق، 1968م.
27. شهاب الدين إبن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت 626هـ)، معجم البلدان، تح: فريد عبد العزيز الجندي، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990م.
28. الشهرستاني محمد بن عبد الله الكريم بن أبي بكر أحمد، الملل والنحل، تح: أمير علي مهنة، علي حسن قاعور، ج1، ط3، دار المعرفة، بيروت، 1414هـ-1993م.
29. صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البحاوي، ج2، دار إحياء الكتب العربية، 1373هـ-1954م.
30. القلقشندي أبو العباس أحمد (ت 71هـ/1418م)، مآثر الأناقة في معالم الخلاقة، تح: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب، بيروت، 1980م.
31. مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمراءها-رحمهم الله- والحروب الواقعة بها بينهم، تح: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989.
32. مجهول، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: سهيل زكار وعبد القادر زمامة، ط1، دار الرشاد، الدار البيضاء، 1979.
33. مجهول، مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط1، دار أبي الرقاق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، ص181.

34. المرتضى الزبيدي(1145هـ/1205م)، تاج العروس في جواهر القاموس، مر: أحمد مختار عمر، ج32، ط1، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2000م.
35. المقري أبو العباس أحمد بن محمد بن يحي التلمساني (ت 1048هـ/1631م)، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج1، دار الصادر، بيروت، 1988م.
36. المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي تقي الدين (ت 845هـ)، كتاب المقفى الكبير، ج4، تح: محمد اليعلاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ/1991م.

ب- المراجع:

1. إبراهيم الشعراوي، الأمويين أمراء الأندلس، دار النهضة العربية، مصر 1969م.
2. إبراهيم بيضون، الدولة العربية في إسبانيا، 3، النهضة العربية، بيروت، 1406هـ/1986م.
3. ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله، فتوح مصر، مكتبة المثنى، بغداد، 1930م.
4. حسين عبد العزيز أحمد، جغرافية أوروبا، دار المريخ للنشر، الرياض، 1402هـ-1982م.
5. حمدي عبد المنعم حسين، أضواء جديدة حول ثورات طليطلة في عصر الإمارة الأموية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1408هـ/1988م.
6. خالد الصوفي، تاريخ المغرب في الأندلس، ج2، ط2، منشورات جامعة قاربونس، كلية الآداب، 1980.
7. خالد عبد الكريم بن محمود البكر، النشاط الاقتصادي في عصر الإمارة 316 – 138هـ، ط1، مكتبة الملك بن عبد العزيز العامة، الرياض، 1995م، ص 172.
8. خلاف محمد عبد الوهاب، قربطة الإسلامية، الدار التونسية للنشر، تونس.
9. خميس بولعراس، الحياة الاجتماعية والثقافية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف 400-479هـ.1009-1086م، السنة الجامعية 2007-2008م، ص ص: 43-44.

10. سعد بن عبد الله البشري، الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1414هـ/1993م.
11. سلمى الخضراء الجيوسي، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ج1، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
12. شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثاث الأندلسية، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1936م.
13. عبد العزيز سالم، تاريخ وحضارة الإسلام والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ط، 1985م.
14. عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين والمستهل الموحدين ف عصر ملوك الطوائف الثاني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م.
15. عصمت عبد اللطيف دندش، الأندلس في نهاية المرابطين والمستهل الموحدين ف عصر ملوك الطوائف الثاني، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408هـ-1988م.
16. القادري بوتشيش، التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر.
17. لوسي بولنس، التقاليد والأساليب التقنية في الأندلس بين القرنين 11-12م، ضمن كتاب جماعي حول: إسهامات العرب في علم الفلاحة، ط1، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1988م.
18. محمد ابراهيم أبا الخليل، الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري (275- 300 هـ/ 288- 912م)، ط1، مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1995.
19. محمد بن شريفة، أمثال العوام بالأندلس، ج1، مطبعة سغريم، القدس، 1960م.
20. محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الأول من الفتح، إلى بداية عهد الناصر، ط2، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

21. مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1985م.
22. مؤنسحسين فجر الأندلس، دار الكتاب العربي، بيروت.
23. مؤنسحسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، 2004م.
24. مؤنسحسين، موسوعة تاريخ الأندلس (تاريخ وفكر وحضارة وتراث)، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1996م.

ج- الرسائل الجامعية::

1. بدر الدين قرح، الصناع وتنظيمهم في الأندلس في عصر الإمارة والخلافة 138-422هـ.706-1031م، رسالة ماجستير، تاريخ المغرب العربي الحديث الوسيط، جامعة الوادي، الجزائر، 2017-2018م.
2. حيزية هوبي، الحرف والصناعات النسيجية والجلدية في الأندلس ق 6 – 9هـ.12-15م، رسالة ماجستير، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة المسيلة، الجزائر، 2018-2019م.
3. خثير فويدري، صراع العصبيات في الأندلس ونتائجها على مسيرة الفتح (94-238هـ/711-858م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر 2، 2012/2011.
4. رابح رمضان، النشاط التجاري بالأندلس خلال القرن الرابع والخامس الهجريين العاشر والحادي عشر ميلادي، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة السانية وهران، الجزائر 2007-2008م.
5. وردة عابد، القيادة العسكرية في الثغرين الأعلى والأدنى بالأندلس في القرن الخامس هجري حتى الربع الأول من القرن السادس هجري (ق11- 12م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، تخصص تاريخ وحضارة بلاد الأندلس، قسنطينة 2008-2009م.

د- المجلات والدوريات:

1. أحمدعلي، اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى، مجلة آفاق الثقافة والتراث، دبي، السنة الخامسة، ع 17، محرم 1418هـ-1997م.

2. بوخاريعمر، العناصر المكونة للمجتمع الأندلسي، الخلدونية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 8، 2015م، ص 54.

3. تريكي فتيحة، قراءات تاريخية في الصناعات النباتية في الأندلس في العصر الوسيط، مجلة العصور الجديدة، مج 9، العدد 4، 2011م.

4. عبد القادرربوح، الورق تاريخ وتطوره، مجلة Cybrarions، ع 44، مصر، 2016م

ملخص الدراسة

تعالج هذه الدراسة تفاصيل تأسيس وسقوط إحدى أهم المدن الإسلامية في الأندلس بيد النصارى، وهي مدينة طليطلة قاعدة الثغر الأوسط بالأندلس.

فتناولنا التعريف بجغرافية طليطلة وأهمية موقعها الاستراتيجي، مع إعطاء لمحة موجزة عن تاريخ المدينة منذ الفتح الإسلامي حتى انهيار الخلافة الأموية في الأندلس وقيام مملكة بني ذي النون فيها.

وركزت الدراسة على تتبع نشوء وتطور العلاقة التي ربطت حكام الأسرة الذنونية بالملك القشتالي ألفونسو السادس، مع تسليط الضوءعلى الكيفية التي تم فيها حصار المدينةوسقوطها وموقف ملوك الطوائف من ذلك.

Abstract

This study addresses the details of the establishment and fall of one of the most important Islamic cities in Al-Andalus, in the hands of the Christians, which is the city of Toledo, the base of the central frontier in Al-Andalus.

The study introduces the geography of Toledo and the significance of its strategic location, providing a brief overview of the city's history from the Islamic conquest until the collapse of the Umayyad Caliphate in Al-Andalus and the establishment of the Kingdom of the Banu Dhi-n-Nun in it.

The study traces the emergence and development of the relationship between the rulers of the Banu Dhi-n-Nun dynasty and the Castilian King Alfonso VI, highlighting the siege of the city and its fall, as well as the stance of the Taifa kings towards this.